الفصل الرابع
الماسونية والصهيونية وجهان لعملة واحدة

الصهيونية:

كلمة الصهيونية تعتبر ترجمة معاصرة لفكرة قديمة، فاسم " الصيهونية " مشتق من كلمة " صهيون " التوراتية وهي الاسم المرادف التقليدي لأورشليم القدس وأرض إسرائيل.

والصهيونية هي أيديولوجية تمثل التطلع المستمر لليهود في أنحاء العالم لاسترداد وطنهم القومي التاريخي - صهيون أرض إسرائيل. ويعود الأمل اليهودي في العودة إلى الوطن القومي إلى اليهود الذين هجروا إلى بابل قبل حوالي ٢٥٠٠ سنة - وهو الأمل الذي تحول إلى حقيقة في نهاية المطاف:

(" على أنهار بابل هناك جلسنا، فبكينا عندما تذكرنا صهيون ") [١].

هكذا لم تخترع الصهيونية التي نشأت في القرن التاسع عشر فكرة العودة ولا كيفية تطبيقها، وإنما جمعت بين فكرة قديمة، وحركة ناشطة، وجعلتهما مؤهلتين معًا لتلبية حاجات العهد وروحه.

إن جوهر فكرة الصهيونية يتمثل في " إعلان إقامة دولة إسرائيل " [٢].

والتي تبدأ بهذه الكلمات:

(" نشأ الشعب اليهودي في أرض إسرائيل، وفيها اكتملت هويته الروحانية والدينية والسياسية، وفيها عاش لأول مرة في دولة ذات سيادة، وفيها أنتج قيمه الثقافية والقومية والإنسانية، وأورث العالم أجمع كتاب الكتاب الخالد. وعندما أجلي الشعب اليهودي عن بلاده بالقوة، حافظ على عهده لها وهو في بلاد مهاجره بأسره، ولم ينقطع عن الصلاة والتعلق بأمل العودة إلى بلاده، واستئناف حريته السياسية فيها ").

---

(١) مزامير داود ١: ١٣٧.

(٢) وثيقة الاستقلال - ١٤ أيار، مايو ١٩٤٨.

وتقوم فكرة الصهيونية على أساس الرابطة الطويلة والمستمرة بين الشعب اليهودي وأرضه، وهي العلاقة التي بدأت قبل ٤٠٠٠ عام تقريبًا، عندما توطن إبراهيم الخليل في كنعان التي أصبحت معروفة في فترة لاحقة باسم أرض إسرائيل.

ويتمثل جوهر التفكير الصهيوني في مبدأ كون أرض إسرائيل المنشأ التاريخي للشعب اليهودي والإيمان بأن تواجد الشعب اليهودي في أي مكان آخر يعني العيش في المنفى. وقد عبر عن هذه الفكرة موشيه هيس في كتابه " روما وأورشليم القدس ١٨٨٤م :

(" لقد تبلورت الحضارة اليهودية خلال عهدين رئيسيين: الأول: بعد التحرر وخروج الشعب اليهودي من مصر الفرعونية، والثاني: عودة اليهود من بابل. وسيأتي العهد الثالث مع عودة اليهود إلى أرض إسرائيل من المهاجر ").

خلال عقود من الزمن في المهاجر، حافظ اليهود على روابط فريدة من نوعها مع وطنهم التاريخي معبرين عن تطلعهم إلى صهيون بالطقوس والشعائر والأدب.

* * *

الصهيونية الحديثة

ترجع الصهيونية الحديثة بصفة أساسية إلى جماعة النورانيين، وقبل الحديث عن الصهيونية ينبغي أن نلقي ضوءًا على جماعة النورانيين ليزيد أمر الصهيونية الحديثة وضوحًا.

وكلمة نوراني مشتقة من كلمة " لوسفير " التي تعني " حامل الضوء "

أو الكائن الفائق الضياء.

وجماعة النورانيين مؤسسة من مؤسسات الماسونية الكثيرة، لها جهود مختلفة في إخراج الدولة اليهودية من نطاق التخطيط إلى نطاق الفعل.

ويرى كثير من الباحثين أن " نيتشه " و " كالفن " و " ميرابو " و " روبسبير " و " تشرشل " و " لويد جورج " و " بلفور " والذين كان لهم أثر كبير في التاريخ الحديث هم من النورانيين.

ولقد ظهر الكثير من نتائج خطط النورانيين وجهودهم، فقد هدموا فرنسا باسم الثورة الإنسانية العالمية، واعترف النورانيون بعد انتهاء الثورة بدور الماسونية الواضح فيها.

ومن المعروف أن حاخامات اليهود يزعمون لأنفسهم السلطة المطلقة في تفسير ما يسمونه المعاني السرية للكتابات المقدسة وذلك بواسطة إلهام إلهي خاص.

وليس لهذا الادعاء أهمية تذكر في حد ذاته، إذ لم يكن بيد هؤلاء الحاخاميين جمعية أو وسيلة ليضعوا ما تلقوه من الوحي موضع التنفيذ.

وهكذا اجتمع عدد من المرابين وكبار الحاخاميين والمديرين والحكماء **وقرروا أن يؤسسوا مجمعًا سريًا يعمل على تحقيق أغراضهم وأسموه " المجمع النوراني ".**

وكلمة نوراني مشتقة من كلمة " لوسفير " التي تعني - كما أسلفنا -

بحامل الضوء أو " الكائن الفائق الضياء ".

وهكذا أنشئ المجمع النوراني لتنفيذ الإيحاءات التي يتلقاها كبار الحاخاميين من " لوسفير " خلال طقوسهم الخاصة، **وكان المجلس الأعلى للمجمع النوراني مؤلفًا من ثلاثة عشر عضوًا ويشكل هؤلاء اللجنة التنفيذية لمجلس " الثلاثة وثلاثين ".**

ويدعى رؤوس المجمع النوراني اليهودي امتلاك المعرفة السامية فيما يتعلق بشؤون الدين والعقائد والاحتفالات الدينية والطقوس.

وكان هؤلاء هم الذين صمموا العقيدة الإلحادية التي نشرت عام ١٨٤٨م في " البيان الشيوعي " الذي كتبه " كارل ماركس " - وقد يجدر الذكر هنا أن عم ماركس كان من حاخامات اليهود ولكنه انفصل رسميًا عن السلك الكهنوتي الأعلى عندما عينت له مهماته الكبرى.

وهكذا نجد أن اليهود يعودة مرة أخرى إلى مبدأ الشراكة الخفية.

المؤامرة الصهيونية على العالم:

ومن هنا استقل الحاخامون المنتمون لحركة النورانيين " روتشيلد " الأول اليهودي والرأسمالي الكبير المتوفي سنة ١٨١٢م وابنه " ناتان روتشيلد " في القيام بتنفيذ هدف اليهود العالمي عمومًا وخططهم آنذاك لإشعال الثورة الفرنسية...

وللقيام بهذه المهمة دعا " روتشيلد " الأول اثنى عشر يهوديًا من أرباب المال العالميين إلى فرانكفورت، وعقد هؤلاء مؤتمرًا لتأسيس احتكار عالمي يهدف إلى السيطرة على أموال العالم، وجعلها تحت سلطانهم لكي يستعينوا بها على تنفيذ أهدافهم (أهداف اليهود العالمية).

وشرح " روتشيلد " للمؤتمرين الاثنى عشر الدور الذي لعبه اليهود في إشعال الثورة الإنجليزية، وقضائها على الملك تشارلز الأول انتقامًا منه بسبب طرده لليهود من إنجلترا، وكذلك الفوائد المالية التي عادت على

اليهود، وأوضح لهم أن الثورة الفرنسية لو نجحت لكانت الفوائد المالية التي يستفيدها اليهود أضعاف ما عاد عليهم بسبب الثورة الإنجليزية.

وقد ناقشوا مسألة التسلل إلى الماسونية الأوروبية بقصد الاستفادة من انتشار الماسونية وسريتها، وأنه يمكن للمؤتمرين تنظيم محافل الشرق العظمى التابعة لهم مباشرة، ويسمونها الماسونية الزرقاء، وتكون مهمة هذه المحافل تنظيم النشاط تحت ستار الأعمال الخيرية الإنسانية، كما تفعل الماسونية.

كما يعهد إلى أعضاء هذه المحافل - بعد تدريبهم وتعليمهم - بمهمة نشر المادية والإلحاد بين صفوف الجوييم (أي الأمم من غير اليهود).

وفي نهاية المناقشة تم الاتفاق على خطة فحواها فرض ضرائب مرتفعة عن طريق المنظمة، واصطناع ظروف يسود فيها الظلم في المنافسة الاقتصادية والداخلية.

والنتيجة الحتمية هي انهيار الحياة الاقتصادية لدى الجوييم، وضرب استثماراتهم ومصالحهم المالية. أما في المجال الدولي فإن على المؤامرة أن تضيق الخناق على الأمة المقصودة شيئًا فشيئًا حتى تطرد من الأسواق العالمية.

ويتم الوصول إلى ذلك عن طريق السيطرة على أسواق المواد الأولية التي تتعامل بها هذه الأمة، ثم تدبير الاضطرابات الداخلية في صفوف العمال، والطبقات الدنيا، ودفعهم إلى التوقف عن العمل والمطالبة بأجور غير معقولة، وشراء المنافسين بالأموال.

وقال روتشيلد: يجب أن نخطط بصورة لا يمكن للعمال معها أن يفيدوا بأية حال من الأحوال من الأجور الزائدة التي يحصلون عليها.

وتبنى المؤتمرون اقتراحًا يقضي بوجوب إثارة المجازر بين أمم الجوييم، واستعمال أفظع الأسلحة الممكنة فيها، حتى يأتي الوقت الذي

تصـبح فيـه هـذه الأمـم منهكـة لـيس فيهـا سـوى الفقـراء والكـادحين الـذين يستثمرون عملاء المؤامرة.

ثم تقوم حكومة عالمية يعينها الدكتاتور الذي تختاره جمعية المؤامرة.

ويجب على المنظمة أن تتسلل إلى كافة الطبقات والأوساط الاجتماعية والحكومية، وأن تعمل ضمن مخططها لخداع عنصر الشباب في كل مكان وإفسـاده بصـورة نظاميـة عـن طريـق تعمـيم الرذيلـة، والأفكـار الفاسـدة، وتزييـف أفكـاره ومحاربـة الأديـان - فيمـا عدا اليهوديـة - والشـعور الـديني والأخلاقي، ولا يجب المساس بالقوانين الداخلية أو الدولية، بل إبقاؤها كما هـي مـع إسـاءة اسـتعمالها وتطبيقهـا، حتـى ينتهـي الأمـر بتـدمير حضـارة الجوييم [1].

وأشار " روتشيلد " إلى أن هذا يجب أن يتم بالصورة التالية:

" تطبيق القوانين وتفسيرها بأشكال متناقضة دائمًا، بحيث تغطي روح القانون أولاً بقناع ثم يختفي بالتالي حكم القانون تمامًا بصورة عملية ".

وقال: " إن هدفنا النهائي هو إحلال الحكم التعسفي محل حكم القانون، وروح الشرائع السماوية، لعلكم تظنون أن الجوييم لن يسكتوا علينا بعد هذا، بل سيهبون للانقضاض علينا. ولكن هذا خطأ، سيكون لنا في البلدان والأقطـار التـي نـتمكن مـن تـدمير نظامهـا الشـرعي، وتمسـكها بالـدين والأخلاق منظمة كفيلة بتدارك هذا الاحتمال. وستكون منظمة على درجة من القوة رهيبة، بحيث تتراجع القوى الأخرى مرعوبة أمامها، والتشعبات الخفية لهذه المنظمة تنتشر في كل مكان، وسوف نعمل على إنشاء منظمة مماثلة في كل عاصمة ومدينة نتوقع صدور الخطر منها.

اليهود يشعلون الثورة الفرنسية ويخططون لتدمير العالم:

وقد بدؤوا بتنفيذ أول مؤامرتهم في فرنسا، واختارت المنظمة لتنفيذ

(١) يراجع كتاب " اليهود والحركات والمذاهب الهدامة " للدكتور/ محمود عبد الحكم عثمان.

خطتها الكونت " دي ميرابو " الشهير لأنه كان يتوافر فيه عدة شروط تؤهله للقيام بهذا العمل وهي:

- أنه كان ينتمي إلى طبقة النبلاء.

- كان ذا نفوذ كبير في أوساط البلاط الملكي وصديقًا حميمًا للدوق " دورليان " ابن عم الملك وكان الأستاذ الأعظم للماسونية.

- كان خطيبًا مفوهًا وذا كاريزما مؤثرة على الجماهير تأثيرًا كبيرًا.

- وكان مثقلاً بالديون بسبب تكاليف حياته الإباحية المشينة.

هذه الصفات جعلت الكونت " دي ميرابو " مناسبًا جدًا ليكون الوجه الرئيسي للثورة الفرنسية.

وبدأ المؤتمرون خطتهم مع " دي ميرابو " بإغراقه في الديون، فلقد عرضوا عليه مساعدتهم المالية على صورة قروض في ذمته، فانغمس بسبب هذه الأموال في الرذيلة، حتى تضخمت ديونه، فوقع تحت رحمة المؤتمرين وكان ألعوبة في أيديهم.

وأوقعوه في يد مراب آخر اسمه " مندلوهن " وهذا الأخير عرف نفسيته، فأوقعه في حبائل امرأة داعرة فاتنة، سيطرت على لبه، وأضحت عشيقته.

وهكذا أصبح تحت رحمة اليهود بسبب ديونه الكثيرة، وغرقه في الشهوات، وفوق ذلك كله دفعوه إلى ارتكاب فضيحة مشينة ونشروها بين الناس فلفظ من طبقة النبلاء، فامتلأ شعورًا بالحقد والانتقام، وأحرجوا موقفه، وموقف صديقه الدوق " دورليان " ابن عم الملك، هنالك كان جوه النفسي ممهدًا لأن يطلعوه على طرف من المؤامرة، ويضموه إلى المنظمة، وتم لهم ذلك، وأقسم يمين الولاء للمنظمة التي يعاقب من يخل به عندهم بالموت.

وكان المقدر الذي أطلع عليه " دي ميرابو " ودوق " دورليان " هو

إجبـار الملـك " لـويس " السـادس عشـر الـذي أظهـروه فـي صـورة المسـتبد الظالم على التنازل عن العرش لابن عمه الدوق " دورليان " ليكون ملكًا ديمقراطيًا.

وعـن طريـق دون دورليـان اسـتطاع المـؤتمرون أن يتسـللوا إلـى الماسونية الفرنسية - لأنـه كـان أستاذها الأعظم - وأن يصـبغوها بالصـبغة التي أرادوها، وأن يزيدوا محافلها وأعضاءها لتكون ذات فاعلية قوية في أيدي المؤتمرين.

غـرق " دي ميرابـو " وصـديقه " دورليـان " فـي الرذائـل والفجـور، وغرقـا بسـبب ذلـك فـي ديونهمـا لليهـود، وأصـبحا تحـت سـيطرتهم تمامًـا، واسـتعملت بعـض قصـور دورليـان فـي نشـر الفضـائح والرذائـل والإلحـاد، وطبـع المنشـورات التـي تلهـب المشـاعر نحـو الثـورة، ولطخـت سـمعة الكثيرين حتى وصل ذلك إلى سلوك الملكة.

ولعـب اليهـود بشـؤون فرنسـا الاقتصـادية حتـى أغرقوهـا فـي الـديون وتسلل " ينكر " اليهودي إلى صفوف الحكومة الفرنسية، فشغل منصب وزير المالية تحت شعار إصلاح أحوال فرنسا الاقتصادية، ولكنه اتجـه بهـا نحو الخراب الاقتصادي.

ولمـا أصـبحت فرنسـا مهيـأة للقيـام بـالثورة، قامـت فعـلاً سـنة ١٧٨٩م، واستخدم اليهود صانعي الثورة الحقيقيين فطلبوا من " أورليان " التصـويت في الجمعة الوطنية على إعدام الملك وابن عمه.

ولما أعدم الملك والملكة وأحس اليهود بأن " أورليان " أدى مهمته ولم يعودوا في حاجة إليه قرروا الخلاص منه كما هي عادتهم فأعدموه.

هكذا رسمت اليهودية العالمية خطتها للسيطرة على العالم ونفذت الخطـة في فرنسا، فأشـعلت الثـورة طبقًـا للخطـة المرسـومة، واسـتفادت في تحقيـق أهدافها العالمية.

وفي غمرة الأحداث تحرك هؤلاء المرابون اليهود وأسسوا مؤسسة روتشيلد اليهودية الكبرى سنة ١٧٧٠م، التي استطاعت أن تسيطر على فروع ضخمة صناعية وتجارية كبرى في أوروبا، وأثرت ثراءً فاحشًا في جميع أنحاء العالم.

واستغلوا أستاذ اللاهوت والقانون الديني في جامعة " أنفولد شتات " وكان قد اعتنق اليهودية **وهو " آدم وايزهاويت " فاستأجروه وكلفوه بمهمة إعادة صياغة بروتوكولات حكماء صهيون القديمة على أسس حديثة.**

وقام " آدم وايزهاويت " بهذه المهمة، فصاغ البروتوكولات بشكل جديد ورسم فيه مخططًا يهدف إلى تدمير جميع الحكومات والأديان الموجودة في العالم، تمهيدًا لفرض سيطرة اليهود عليها، وسلخ الأمم غير اليهودية من عقائدها، وإحلال العقيدة اليهودية الشيطانية المحرفة عن أصلها محل تلك العقائد.

وتتمثل هذه الأهداف بصورة عامة في:

١- إلغاء جميع الحكومات الوطنية المنظمة.

٢- إلغاء الملكية الخاصة.

٣- إلغاء الإرث.

٤- إلغاء الشعور القومي والوطني.

٥- إلغاء فكرة الحياة العائلية والمسكن العائلي.

٦- إلغاء المسكن الفردي.

٧- إلغاء جميع الأديان الموجودة والمؤسسات على سطح الأرض تمهيدًا لإحلال الأيديولوجية النورانية محل الأديان بالقوة.

وقد يلاحظ القارئ معي أن الشيوعية تبنت فيما بعد هذه الأهداف وعملت على تحقيقها بالقوة.

وقد بين " هاويت " أساليب العمل لتحقيق هذه الأهداف ومنها:

١ - تقسيم الأمم غير اليهودية - ويطلقون عليها لفظ الجوييم - إلى معسكرات متنابذة تتصارع باستمرار حول المشكلات الاقتصادية، والسياسية، والعنصرية، والاجتماعية، والفكرية، والمذهبية التي تتولد باستمرار.

٢ - تسليح هذه المعسكرات المتنابذة بعد أن توجد وإثارة الفتن بينها وتدبير الحوادث التي تؤدي إلى مهاجمة كل معسكر للآخر مما يترتب عليه أن يحطم بعضها بعضًا.

٣ - استعمال كل الوسائل للسيطرة على الأفراد والجماهير من الناحية الفكرية والعاطفية، مثل أجهزة الإعلام المختلفة، والأجهزة التعليمية، والوصول إلى السيطرة على الأشخاص الذين يشغلون مراكز حساسة من مختلف المستويات في جميع الحكومات، وفي مختلف مجالات النشاط الإنساني، ويجب أن يحاط الذين يقعون في الشراك من ذوي النفوذ بالعقد من كل جانب، وأن يُستنزفوا لخدمة النورانيين بأية وسيلة كالتهديد السياسي، أو الخراب المالي، أو فضيحة كبرى، أو تعذيبه جسديًا، أو تهديده بقتله أو قتل ذويه.

ولما رسم " آدم وايزهاويت " المخطط قام بتنظيم جماعة النورانيين، واستطاع أن يضم إليها كثيرًا من أبرز المتفوقين في ميادين الفنون والآداب والتعليم والاقتصاد والصناعة. وأسس محفل الشرق الأكبر في فرانكفورت وهو المركز الرئيس للماسونية ليكون مركزًا يضم رجال المخطط الجديد.

وقد أصدر " آدم وايزهاويت " أوامره إلى جماعة النورانيين بإنهاك واستنزاف أكبر قوتين في العالم آنذاك، وهما بريطانيا وفرنسا. وبالفعل كان اليهود وراء الثورة في بريطانيا، وقام النورانيون بتدبير الثورة الفرنسية على النحو الذي قدمناه من قبل.

وبعد ذلك أسند إلى كاتب ألماني هو " تسفاك " مهمة مخططات آدم

وايزهاويت في كتاب. وأنجز تسفاك ذلك فعلاً وسمى كتابه " المخطوطات الأصلية الوحيدة ". وأرسلت نسخة منه سنة ١٧٨٩م إلى جماعة النورانيين الذين كانوا يقومون بتدبير الثورة في فرنسا.

وفي الطريق قتلت صاعقة حامل النسخة، وعثرت عليها السلطات في " بافاريا " أثناء تفتيش الجثة، وقامت بعملية تفتيش وجدت أثناءها وثائق أخرى أقنعت السلطات البافارية بأن هذه الوثيقة نسخة من مكيدة اليهود التي تهدف إلى السيطرة على العالم.

هنالك أغلقت حكومة بافاريا محفل الشرق الأكبر، وأنهت نشاط جماعة النورانيين، واعتبرتها خارجة على القانون، **ونشرت السلطات البافارية تفاصيل ما عثرت عليه عند جماعة النورانيين بعنوان " الكتابات الأصلية لمذهب ومنظمة النورانيين ". وأرسلت نسخًا منها إلى كبار الرجال في كل دولة. ولهذا أصبح نشاط النورانيين أكثر سرية واستخفاء، فأصدر " آدم وايزهاويت " إلى النورانيين أوامره بالتسلل إلى الجمعيات الماسونية السرية.**

وتابع النورانيين نشاطهم بسرية طبقًا لأوامر " آدم وايزهاويت " وكانوا يتلقون توجيهاتهم من القيادة اليهودية الخفية.

تابع النورانيون تنفيذ مخططاتهم الرهيبة، ففي سنة ١٨٢٩م عقد النورانيون مؤتمرًا في نيويورك، وأعلن في هذا المؤتمر أن جماعة النورانيين بإنجلترا قررت ضم الحركات الهلنسية وهم جماعة الفوضويين في روسيا وأوروبا الوسطى والمجتمعات الإلحادية في أوروبا إلى بعضها وجعلها منظمة عالمية يطلق عليها اسم الشيوعية. وكونت لجنة لتنفيذ هذا المشروع، ووفرت لها الأموال اللازمة، وقد تم تنفيذ ما جاء في الإعلان، فلقد دفعت اللجنة كارل ماركس وإنجلز للقيام بوضع المبادئ والنظريات التي يقوم عليها تنفيذ المشروع، وكتب ماركس وانجلز كتابيهما " البيان الشيوعي " و " رأس المال " ومن العجيب أن البروفيسير كارل رايتر الأستاذ في جامعة فرانكفورت كان يكتب النظرية المعاكسة للشيوعية في

نفس الوقت الذي كان يكتب فيه ماركس وإنجلز البيان الشيوعي، وكانت جماعات النورانيين تشرف على الطرفين ولم يتم عمل رايتر على يده بل أتمه فردريك نيتشه.

وهذا كله تمهيدًا لإيجاد المعسكرات المتنابذة في العالم التي رتب لها اليهود مخططًا يحقق تصارعها باستمرار كما سبق.

وجاء دور إثارة الاضطرابات في العالم، فاختار النورانيون الزعيم الإيطالي " مازيني " لكي يقوم بتنفيذ خطة إثارة الاضطرابات في العالم. واستطاعوا بوسائلهم المتبعة أن يستولوا على الجنرال الأمريكي ألبرت بايك، وأصبح واحدًا من القادة النورانيين. ووضع ألبرت بايك في الفترة من ١٨٥٩ - ١٨٧٠م مخططًا عسكريًا مفصلاً ينفذ في القرن العشرين.

وفحوى هذا المخطط إقامة ثلاث حروب عالمية، وثلاث ثورات كبرى، يترتب على أثرها تحقيق هدف اليهود، ألا وهو هدم أديان وحكومات الشعوب غير اليهودية، وإقامة حكومة عالمية تحت سلطان اليهود، ولكن نشاط مازيني الواسع في أنحاء أوروبا أثار الشكوك حول النورانيين، والمحافل الماسونية، فتحمل ألبرت بايك عبء إعادة تنظيم الماسونية وفق مذهبية جديدة.

واستمر نشاط النورانيين طبقًا لمخطط ألبرت بايك ونفذ جزءًا كبيرًا منه، فقامت الحرب العالمية الأولى، وكان الهدف منها إتاحة الفرصة للقضاء على حكم القياصرة في روسيا، لتمكن الحركة الشيوعية الإلحادية من أن تقيم دولتهم في روسيا.

وقامت هذه الحرب بسبب الخلافات بين ألمانيا وبريطانيا، تلك الخلافات التي غرسها وقام بتنفيذها النورانيون.

وبالفعل قامت الشيوعية بعد الحرب العالمية الأولى وأصبح لها دولة تطبق الفكر الشيوعي في روسيا وكانت بعد ذلك معقلاً لتقويض الحكومات والأديان.

وقامت الحرب العالمية الثانية، والسبب في قيامها هو الخلافات التي كانت بين الحركة الفاشية والنازية من ناحية، والحركة الصهيونية السياسية من ناحية أخرى، وكان الهدف من تدمير النازية وازدياد سلطان الصهيون السياسي، هو التمكن من إقامة دولة إسرائيل في فلسطين.

وكان من أهداف مخطط ألبرت بايك بناء الشيوعية العالمية، ودعمها حتى تعادل قوة العالم الغربي المسيحي وإيقافها عند هذا الحد. وعندئذ تبدأ المرحلة الأخيرة في المخطط وهي الحرب العالمية الثالثة التي تهدف إلى تقويض وتدمير العالم الإسلامي.

ومن مراحل المخطط التمهيدي لهذه الحرب النزاع بين الصهيونية السياسية وبين العالم الإسلامي، لكي يتحطم العالم الإسلامي وينقسم العالم إلى معسكرين متنازعين بسبب هذه المشكلة وتقوم الحرب العالمية الثالثة بتحطيم الأطراف الثلاثة، وهي المعسكر الغربي، والمعسكر الشيوعي، والعالم الإسلامي، وحينئذ يستطيع النورانيون أن يستولوا على العالم ويكون لهم دولة ذات سلطان مطلق لا ينازعهم فيه أحد.

تابعت القيادات اليهودية تنفيذ مخططاتها متسترة في ظل الجماعات الماسونية في العالم. وكان اليهود يستخدمون الماسونية في العالم. وكان اليهود يستخدمون الماسونية في تحقيق مخططاتهم التدميرية، وكان يتولى قيادة العمل في كل مرحلة داهية خبيث.

وبعد ألبرت بايك عقد قادة النورانيين خمسة وعشرين مؤتمرًا في الفترة ما بين ١٨٧٩ حتى ١٩٦٠م، وقد كان أول هذه المؤتمرات في بال بسويسرا تحت زعامة الماسوني " تيودور هرتزل " وهو واحد من عظماء اليهود ويعتبر مجدد الصيهونية الحديثة.

وترجع أهمية الحديث عن مؤتمر بال المذكور إلى أنه تقررت فيه خطتهم السرية التي تقضي باستعباد العالم كله تحت تاج ملك من نسل داود.

وكانـت قـرارات هـذا المـؤتمر محاطـة بالسـرية والكتمـان الشـديدين ومحصـورة فـي أصـحابها ولا تظهـر حتـى لليهـود مـن غيـر المـؤتمرين، وكانت هذه السرية الشديدة سمة كل مؤتمراتهم الخمسة والعشرين.

وشاء الله تعالى أن تظهر هذه الأسرار، فقد اختلست سيدة فرنسية في مستهل القرن العشرين مجموعة من وثائق هذه المؤتمرات أثناء اجتماعها بواحد من كبار زعماء النورانيين في وكر من أوكار الماسونية. وترجم هذه الوثائق ضابط روسي إلى اللغة الروسية، وانتهى من ترجمتها سنة ١٩١٧ وبعد نشرها عُرفت مقررات حكماء صهيون وعرفت مقررات الصهاينة وخططهم لتنفيذها.

وقد تبين منها أن هرتزل هو الذي قام بجمعها وصياغتها وترتيبها، كما تبين منها أهداف اليهود التي عملوا بدأب على تحقيقها، ومنها الثورة الشيوعية، والحرب العالمية الأولى، وتقويض الملكيات في الدول، وإثارة الفتن والقلاقل في كل دول العالم، وتقويض الخلافة الإسلامية في تركيا والحرب العالمية الثانية وقيام دولة يهودية قومية (إسرائيل) في فلسطين.

وقد ترجمت هذه البروتوكولات إلى العربية أكثر من ترجمة، حيث يعبرون فيها تعبيرًا واضحًا عن هدفهم الذين يسعون إليه بالاستيلاء على العالم وحكمه باسم الدين اليهودي والشعب المختار من جبل صهيون.

وتتكون هذه البروتوكولات من أربعة وعشرين بروتوكولاً، وتهتم البروتوكولات الثلاثة عشر الأولى بالحديث عن خطة تدمير العالم، وتتحدث البروتوكولات الباقية عن الكيفية التي ينبغي أن يدير اليهود بها العالم بعد الاستيلاء عليه وحكمه.

* * *

اليهود والدولة العثمانية والوطن القومي في فلسطين:

لما بدأت الحركة اليهودية القومية (الصهيونية) مرحلة التنفيذ قرر قادتها أن يبدأوا بإقامة وطن لهم في فلسطين ليكون بداية لمملكتهم ثم يتوسعوا في حدودها حتى يحققوا حلمهم الكبير. فحاولوا في أول الأمر أن يصلوا إلى هدفهم بالمكر والخداع والرشوة، ولكنهم لم يستطيعوا، فلجؤوا إلى الوسائل الأخرى.

وقد يكون فيما يلي إلقاء لبعض الضوء على خطواتهم في العمل:

١- أن الماسونية نمت أيضًا وترعرعت في أحضان يهود الدونمة، وهم جماعة من اليهود الذين كانوا يتظاهرون بالإسلام، ومعظمهم من النازحين إلى تركيا من أسبانيا بعد استولى عليها المسيحيون في أعقاب الحكم العربي الإسلامي. وكانت مدينة سلانيك تضم أعدادًا كبيرة منهم، وقد احتلوا مراكز خطرة وحساسة في الدولة العثمانية، وبذا استطاعوا أن يوجهوا سياستها نحو خدمة أهداف اليهودية العالمية تحت ستار الحركات التحريرية في تركيا [١].

٢- وتأسس محفل ماسوني باسم محفل الشرق العثماني في سلانيك مقر يهود الدونمة - حيث نمت الماسونية بها - كان هذا المحفل برئاسة طلعت باشا وزير الداخلية التركي، وكان من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي، إلى جانب كبار أغنياء اليهود [٢].

ومن الجدير بالذكر أن مصطفى كمال كان من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي، تلك الجمعية التي تولت مهمة ترسيخ العلمانية في تركيا، وإدخال المذاهب الإلحادية التي وضعها اليهود فيها [٣].

---

(١) يراجع كتاب " الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر " للدكتور/ محمد محمد حسين، وكتاب " اليهود والحركات والمذاهب الهدامة " للأستاذ الدكتور/ محمود عبد الحكيم عثمان، الأستاذ بجامعة الأزهر.

(٢) انظر المرجع السابق ج٢، ص ٧٤.

(٣) يراجع صلة الاتحاديين باليهود. جزيرة العرب في القرن العشرين، لحافظ وهبة، ص ٢٢١ - ٢٢٣، والنكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة، لمصطفى صبري ص ١٥٧، نقلاً عن الاتجاهات الوطنية ج٢، ص ٧٤، وحاضر العالم الإسلامي

وكان السلطان عبد الحميد في هذه الأثناء ينادي بالجامعة الإسلامية. وفي هذه الأوضاع القلقلة التي خطط لها اليهود بمساعدة الماسون قرر اليهود مفاوضة السلطان عبد الحميد ليسمح لهم ببعض الامتيازات في فلسطين. فقابل " قرة صو " اليهودي الماسوني - وهو من كبار الأثرياء - السلطان عبد الحميد بوساطة كمال بك أحد رجال البلاط لدى السلطان، وعرض " قره صو " على السلطان السماح لليهود ببعض الامتيازات في فلسطين مقابل مائة مليون ليرة ذهبية، قرض بلا فائدة لخزينة الدولة، وخمسة ملايين ليرة ذهبية هدية شخصية للسلطان، فعنف السلطان عبد الحميد كمال بك، وطرد قره صو قائلاً له " اخرج من وجهي يا سافل " فتوجه " قره صو " من فوره إلى إيطاليا، **وأرسل برقية تهديد للسلطان يقول فيها:**

" أنت رفضت عرضنا وسيكلفك هذا الرفض أنت شخصيًا ويكلف مملكتك كثيرًا ".

وحاول اليهود مفاوضة السلطان مرة أخرى، فقابله هرتزل بنفسه ومعه الحاخام موسى لين سنة ١٨٩٧م، وطلبا من السلطان منح اليهود حق السكنى في فلسطين واستثمارها في مقابل قيام اليهود بالتالي:

١- إنشاء أسطول بحري عثماني.

٢- دعم سياسة العثمانيين في العالم الخارجي.

٣- مساعدة السلطان في تحسين الأحوال المالية للدولة التي كانت حينئذ حرجة.

٤- إنشاء جامعة عثمانية في القدس تغني عن إيفاد الطلاب المسلمين إلى أوروبا.

فرفض السلطان عبد الحميد ذلك بإباء وغضب شديد وصرح قائلاً:

للوثروب ستودارد - ترجمة عجاج نويهض وتعليق شكيب ارسلان.

" إن أراضي الوطن لا تباع لأن البلاد التي امتلكت بالدماء لا تباع إلا بالثمن نفسه ".

ونصح السلطان هرتزل بألا يعود إلى هذه المحاولة، فإن الأرض ملك للمسلمين وليست ملكًا له.

ثم قال له: " إذا تجزأت إمبراطوريتي يومًا فإنكم قد تأخذونها بلا ثمن، أما وأنا حي فإن عمل المبضع في بدني أهون عليّ من بتر فلسطين من إمبراطوريتي وهذا أمر لا يكون ".

ولما فشلت مفاوضات اليهود مع السلطان التي استعملوا فيها حيل المكر والخديعة، ورشوة الخلافة بدؤوا ينفذون خططهم السرية، تلك الخطط التي ظلت في سرية تامة، حتى تسربت **ونشرتها جريدة التايمز سنة ١٩٢١م، وتحتوى هذه المخططات على إعادة صياغة لمقررات حكماء صهيون طبقًا لظروف الوقت، وأهم ما فيها، البنود الأول والثاني والتاسع لأنها تتعلق بفلسطين مباشرة.**

ويقضي البند الأول بالعمل بكافة الوسائل واستغلال جميع الدول والشخصيات لتكون فلسطين هي مكان التجمع اليهودي لإقامة دولة صهيونية.

ويقضي البند الثاني بربط الجماعات اليهودية مع كافة المنظمات الدولية والسياسية لاستغلالها في سبيل إقامة دولة صهيون.

ويقضي البند التاسع بأنه لا بأس من التضحية بالبنات في سبيل الوطن القومي، مع العلم بأن هذه التضحية قاسية، ومستنكرة، ولكنها قد توصل إلى أحسن النتائج، لأن هذا الشعب يؤثر البنات ويتهاتف عليهن وينقاد لهن.

وأثناء تنفيذ اليهود لهذا المخطط كانوا يذرون الرماد في العيون فيرفعون عرائض للسلطان عبد الحميد يطالبون فيها بفلسطين وما حولها حتى النهرين في العراق وفي مصر (شعار من النيل إلى الفرات).

وكـان السلطان يقابل هذه العرائض بقرارات تمنـع هجرة اليهود إلـى فلسـطين أو اسـتيطان أي يهـودي جديـد، وتوالـت تقـارير الحاخامـات إلـى السلطان عبد الحميد وألحقوا بها خرائط للوطن المطلوب.

وكان آخر هذه التقارير يتضمن أن اليهود تواصوا في الأجيـال الغـابرة **على أن بلادهم تمتد من مصر إلى كليكيا.**

ومن الخرائط التي أرسلت إلى السلطان خريطة تشمل فلسطين وسـوريا ولبنان والعراق وقسمًا من مصر والحجاز حتى المدينة المنورة.

وهكذا قامـت المنظمـات اليهوديـة بتنفيذ مخططاتهـا الخاصـة بتقـويض الخلافـة الإسـلامية وتقطيـع أوصـالها، وتسـترت وراء الجمعيـة الماسـونية ومحافلها، ومهدت المنظمات اليهودية السبيل أمام الدول الاستعمارية لبسط نفوذهـا علـى أجـزاء الدولـة العثمانيـة بعـد تقـويض الخلافـة وانتهـاء نفوذهـا على هذه الأجزاء، وذلك فـي مقابـل مكافـآت سياسية واقتصـادية لليهـود فـي العالم، وفي المناطق الإسلامية وخصوصًا البلاد العربية.

وكانت الدولة العثمانية قد وصلت إلـى حالـة مـن الضـعف شـبهت فيهـا بالرجـل المـريض، فاشـترى اليهـود كثيـرًا مـن الضـمائر ضـد الخلافـة، واتخذت المنظمات اليهودية مدينة سلانيك مقرًا رئيسًا لتحقيق مخططاتهم.

والسبب في اختيارها هو أنها كانت تضم عددًا كبيرًا من اليهود فـي تركيـا، ثـم إنهـا مـوطن يهـود الدونمـة، أولئـك الـذين تظـاهروا بالإسـلام، واحتلـوا مراكـز هامـة فـي الدولـة ، وتغلغلـوا حتـى وصـلوا إلـى كثيـر مـن مراكز السلطة، والمسلمون لا يشعرون، وتحركت المنظمـات اليهوديـة مـع الماسونية العالمية للعمل في نفس السبيل ولذات المرام.

ومما يلفت النظـر وجـود شخصـين خطيـرين مـن يهـود الدونمـة فـي مراكـز حساسـة فـي دولـة الخلافـة وهمـا " جاويد وحسين جاهد بالشين ". فأمـا جاويد فقد كـان أحـد أقطـاب الماسـونية، وأحـد أقطـاب جميعـة الاتحـاد والترقي، التي قامت بإلغاء الخلافة، واستعانت بمن فسد من العسكريين.

وأما عن حسين بالشين فقد استطاع أن يكون عضـوًا فـي لجنـة التوفيـق الثلاثية المؤلفة من أمريكي، وفرنسي، وتركي مهمتها التوفيق بين العرب

واليهود، وكان حسين هذا هو العضو التركي والمتحدث باسم المسلمين.

ودفعت المنظمات اليهودية الأموال التي عرضت على السلطان عبد الحميد ورفضها للمتآمرين على تقويض الخلافة العثمانية.

واتحد اليهود والماسونيون وجمعية الاتحاد والترقي التي سبق أن قلنا عن أعضائها أنهم أركان المحفل الماسوني في تركيا، ونفذت تقويض الخلافة الإسلامية.

وبعد تنفيذ هذه المؤامرة ظهرت عدة أمور غريبة منها:

١- أن الذي سلم السلطان عبد الحميد قرار خلعه هو اليهودي " قره صو " الذي طرده السلطان حين حاول رشوته.

٢- لما انتهى دور يهود الدونمة من تنفيذ المؤامرة ارتدوا عن الإسلام وعادوا إلى اليهودية، وكانوا من أخطر المساهمين في نجاح المؤامرة على الإسلام.

٣- بعد إلغاء الخلافة تم إعلان العلمانية التي خطط لها اليهود. وكان دور الماسونية واضحًا في كل ما حدث.

وبعد فوات الأوان اكتشف بعض من ساهم في المؤامرة أنهم وقعوا في خداع الماسونية اليهودية، ومنهم أنور باشا الذي قام بالدور الرئيسي في الانقلاب على الخلافة سنة ١٩٠٨م وكان سببًا في تدهور الدولة العثمانية، ولقد اعترف بذلك أثناء حديث له مع جمال باشا [١].

ومن التدبيرات التي دبرتها المنظمات اليهودية مع الماسونية العالمية لتقويض الخلافة العثمانية ما فعلوه من محاولات أخذوا يحطمون بها الإمبراطورية العثمانية باقتطاع أطرافها. ويذكر في ذلك تحريض الماسونية العالمية لإيطاليا على استعمار ليبيا، وقد كانت جزءًا من الإمبراطورية العثمانية..

وقد تم ذلك على يد الماسونيين رئيس بلدية روما، ومتر سالم اللذين أقنعا الحكومة الإيطالية باستعمار طرابلس الغرب، واقتطاعها من جسم

(١) يراجع في ذلك كتاب اليهود والحركات والمذاهب الهدامة.

الخلافة الإسلامية.

وقد عمل الماسونيون على إخلاء الدولة العثمانية لليبيا من الجيش والسلاح، ليخلو الجو للإيطاليين فيسهل استعمارهم لليبيا، وتم ذلك طبقًا للخطط التي وضعتها الماسونية.

ومن هذا العرض يتضح أن اليهود عملوا على تقويض الخلافة الإسلامية، وتحويل أنظمة البلاد التي كانت تحت سلطان الخلافة العثمانية إلى العلمانية والإلحاد، وإنكار الشرائع.

والسبب في ذلك هو العمل على تحقيق أهداف اليهودية العالمية وهي تقويض جميع الأديان لتقيم على أطلالها هيكل سليمان [1].

هذا وقد ظهرت عبارة " الصهيونية " بدلاً من " القومية اليهودية " لأول مرة في التاريخ الحديث في الكتاب الذي أصدره المفكر الصهيوني الألماني ناتان بيرنباوم ونشره عام ١٨٩٣ تحت عنوان " المبعث الثقافي للشعب اليهودي في أرضه كوسيلة لحل المشكلة اليهودية ". وقد استعمل بير نباوم لفظة " الصهيونية " بدلاً من عبارة " القومية اليهودية " التي كانت سائدة آنذاك في كتابات المفكرين والكتاب الصهاينة دعاة تأسيس الدولة اليهودية.

وفي هذا الكتاب - كما في صحيفة " التحرر الذاتي " - أعاد بيربناوم طرح الأفكار التي سبقه إليها عدد من دعاة الصهيونية أهمهم:

١- **موسى هس**: مؤلف كتاب " روما والقدس " عام ١٨٦٢م - ويعد هذا الكتاب مرحلة انعطاف هامة في تاريخ الدعوة الصهيونية للعودة إلى فلسطين واستيطانها وتأسيس " مملكة إسرائيل " لأنه أول كتاب يؤلفه مفكر يهودي يدعو إلى غزو فلسطين وإعادة اليهود إلى وطنهم التاريخي الافتراضي - على حد قوله - الذي يمتد من السويس إلى القدس، ومن الأردن إلى البحر الأبيض المتوسط، وذلك " تحت رعاية فرنسا حامية اليهود ".

٢- **ليوبنسكر**: مؤلف كتاب " التحرر الذاتي " ١٨٨٢م.

(١) انظر مكايد يهودية عبر التاريخ - لعبد الرحمن حسن حبنكة - دار القلم دمشق/ بيروت

فبينما يعد كتاب هس السابق ذكره مرحلة انتقال الدعوة الصهيونية إلى أقلام اليهود، فإن كتاب ليوبنسكر يعد بداية انتقال الصهيونية من الدعوة إلى الحركة. ويتفق معظم المؤرخين والدارسين للحركة الصهيونية على اعتبار عام ١٨٨٢ عامًا فاصلاً في تاريخ الحركة الصهيونية، لأن ذاك العام شهد التطورات التالية:

أ- تولت مجموعات الصهاينة أنفسهم تحقيق الفكرة الصهيونية عبر تنظيمات سياسية.

ب- ظهور أولى المجموعات الصهيونية السياسية الداعية إلى الهجرة إلى فلسطين واستيطانها تدريجيًا تمهيدًا للاستيلاء عليها - وأهم هذه المجموعات " أحباء صهيون " و " بيلو ".

جماعة أحباء صهيون:

جماعة صهيونية تأسست عام ١٨٨٢م من ٢٥ دارسًا روسيًا في جامعة " خاركوف " وقد أصدرت منشورات تتغنى بحب فلسطين، وجبل صهيون، والغيرة عليهما، وتدعو إلى الهجرة إلى فلسطين لاستيطانها، واستعادة " مجد بني إسرائيل ". وفي العام نفسه تشكلت أيضًا جماعة صهيونية أخرى تحمل الاسم ذاته في جماعة أوديسا بروسيا.

بيلو:

وهذه الكلمة تتشكل من الأحرف الأولى لأربع كلمات بالعبرية هي " بيت يعقوب تعالوا لنرحل " وقد نشرت نداءها الأول من مركز تجمعها في جامعة القسطنطينية عام ١٨٨٢م، واعتبر الصهاينة فيما بعد هذا النداء نموذجًا للدعوة الصهيونية. **حيث جاء فيه:**

" دعوة يهود المنفى للنهوض من سباتهم الذي استمر ألفي عام. وغسل العار الذي لحق بالأمة اليهودية منذ دمار الهيكل. والحصول على موطن لليهود في أرضهم فلسطين، وإقامة مركزهم الأساسي في القدس، وإقناع السلطان العثماني بمختلف الوسائل، وإغراؤه بعدالة قضيتهم، وكسب دعمه ورعايته ".

وفي العام ذاته تأسست جمعيات صهيونية مماثلة في النمسا وألمانيا وغيرهما، إلا أن هناك اتفاقًا عامًا على أن " أحباء صهيون " و " بيلو " هما

الجماعتان الرائدتان في هذا المجال، وإن كان بعض المؤرخين يعتبر إحداهما سابقة بعدة أشهر على الأخرى... ويضفي كتاب ليوبنسكر " التحرر الذاتي " المنشور عام ١٨٨٢م أهمية إضافية على هذا العام أيضًا لسببين:

أ- كان ليوبنسكر عضوًا في " جمعية نشر الثقافة الروسية بين يهود روسيا "، وقد ظل كذلك حتى انفجار أعمال العنف والدمار، وما تخللها من مذابح ضد اليهود إثر اغتيال القيصر الروسي عام ١٨٨١م. فانسحب من الجمعية الثقافية، وبدأ يبحث ويدعو المفكرين اليهود للبحث فورًا عن حلول جديدة للمسألة اليهودية خارج الاندماج أو التواصل في المجتمعات المحيطة بهم.

ب- تضمن هذا الكتاب أول برنامج عملي يدعى الحل النهائي للمسألة اليهودية، وأخذت به على الفور الجماعات الصهيونية المنظمة (أحباء صهيون) واعتبرته كتابها المقدس، كما تلقفت الكتاب أيضًا الجماعات الصهيونية الأخرى في النمسا وألمانيا.

وأعلنت جميعات أحباء صهيون الموحدة والتي تبنت خيار فلسطين وطنًا لليهود ليوبنسكر رئيسًا لها عام ١٨٨٣م على أن يساعده في توجيه الأعمال وإدارتها الصهيوني المتعصب " موشي ليلنبولوم ".

وبذلك أصبحت جمعية " أحباء صهيون " الجمعية القائدة للدعوة الصهيونية فكرًا وممارسة، وسرعان ما انتشرت فروعها في أوروبا كلها، وأصبحت الدعوة إلى " مؤتمر قومي عام " أمرًا حيويًا بالنسبة لهذه الجمعيات لصياغة برنامجها المرحلي وأهدافها الإستراتيجية، وبالفعل انعقد هذا المؤتمر في مدينة " أتوفيتز " في بولندا عام ١٨٨٤م.

ثم تلاه المؤتمر الثاني عام ١٨٨٧ والثالث عام ١٨٨٩ والرابع عام ١٨٩٠.

وفي المؤتمر الرابع نضجت الحركة الصهيونية، وبدأت تتمايز التيارات الفاعلة داخلها، وبرزت في هذا المؤتمر الذي انعقد في أوديسا عام ١٨٩٠م **ثلاثة تيارات رئيسية:**

أ- **التيار العملي** بزعامة " لينولوم " وهو يمثل الأغلبية التي دعت إلى الاستمرار في الهجرة إلى فلسطين، وإنشاء المستعمرات والاستيطان فيها تحت أي ظروف وبأي شروط.

ب- **التيار الروحي الثقافي** بزعامة " أحاد هعام " وكان هذا التيار يلح على ألوية العمل الثقافي والروحي بين اليهود، ويعتبر فلسطين مركزًا ثقافيًا روحيًا بالدرجة الأولى.

ج- **التيار الديني الحرفي** المشدود إلى فلسطين بسبب مكانتها الدينية، إلا أنه ينتظر ظهور المسيح المنقذ الذي سيتولى تحقيق نبوءة التوراة بقيادة اليهود، والعودة بهم تحت رايته إلى فلسطين.

كان هذا عرضًا موجزًا للنشاطات الصهيونية في أوروبا الشرقية، وبعض فروعها التي تولى إدارتها وتوجيهها دارسون يدرسون في جماعات أوروبا الغربية، كجامعة فيينا، وجامعة برلين، كالجمعية التي أسسها " ليوموتزكين " عام ١٨٩٠م تحت اسم " الجمعية العلمية للطلاب الروس اليهود " والتي انضم إليها مشاهير القادة الصهاينة أمثال " حاييم وايزمان " و " شمار باليفن " و " دافيد جاكوسن " وغيرهم. أما في الشطر الغربي من أوروبا فقد تأخر تأسيس هذه الجمعيات عن الشطر الشرقي قرابة عقد من الزمن.

وهناك كراس أصدره الصهيوني الألماني " بودنها يمر " بعنوان " أين نذهب باليهود الروس " ؟

وأجاب عليه: **" إلى فلسطين وجوارها في سوريا ". ويعتبر هذا بمثابة الشرارة التي استقطبت أمثاله من الصهاينة للبدء في التنظيم. كما أصدر " بودنهايمر " ذاته نداء في أيلول عام ١٨٩١ بعنوان: " يا صهيون العالم اتحدوا ". وتضمن هذا النداء مشروعًا لاستعمار فلسطين وتأسيس شركات تطوير الأراضي، ومد الخطوط الحديدية وغير ذلك من مقومات بناء الدولة.**

وعلى أية حال كان مشروعه مماثلاً لمشروع " أوليفانت " الإنجليزي الخـاص باسـتعمار فلسـطين يهوديًـا وإن كانـت نقطـة الخـلاف الرئيسـية الوحيدة بينهما أن الأول دعا إلى ربط " دولـة اليهود " العتيدة بالإمبريالية الألمانيـة ووضـعها تحـت حمايتهـا، فـي حـين دعـا الثـاني إلـى ربطهـا بالإمبريالية البريطانية ووضعها تحت حمايتها.

وما كاد " بود نهايمر " يلتقي مع " وولفسون " - الذي أصبح فيما بعد رئيسًا للمنظمة الصهيونية العالمية - في شباط عام ١٨٩٢م، ويتم التعارف بينهمـا حتـى اتفقـا علـى تأسـيس " نـادي صـهيون القـومي اليهـودي "، و" جمعية أحباء صهيون الألمانية " التي انظم إليها على الفور " بير بنـاوم " واتفق الثلاثـة علـى الـدعوة إلـى مـؤتمر صـهيوني عـام لصـياغة الأهـداف النهائية للصـهيونية السياسية بشكل واضـح، وجمـع اليهود حولهـا، فوافقت علـى الفـور جمعيـة إسـرائيل الفتـاة الألمانيـة التـي تأسسـت فـي بـرلين عـام ١٨٩٣م، وعن لقائه مع وولفسون كتب بودنهـا يمـر فـي مذكراتـه: " وهكذا ولدت الصـهيونية الألمانية ".

وفـي المـؤتمر العـام الـذي انعقـد فـي بـرلين عـام ١٨٩٣م أقـرت مشـاريع تتضمن إنشاء منظمة صهيونية موحدة، وصندوق مـالي، وتشـجيع الاستيطان اليهودي في فلسطين، وتنظيمه، وإحيـاء اللغـة العبريـة، كمـا جـدد الـدعوة لعقد مـؤتمر قـومي عـام يضـم جميـع التنظيمـات الصـهيونية العاملـة فـي ألمانيـا، وبالفعـل انعقـد هـذا المـؤتمر فـي مدينـة كولـون بألمانيـا عـام ١٨٩٦م وتبنـى المـؤتمر مشـاريع وقـرارات مـؤتمر بـرلين، وأصـدرها فـي كـراس بعنـوان " قضايا كولون ".

وهكذا ولـدت فعـلاً الصـهيونية الألمانيـة، وكانـت قـد سبقتها الصـهيونية الروسية البولونية بعشر سنوات.

***

الصهيونية السياسية

ابتدعها تيودور هرتزل (١٨٦٠ - ١٩٠٤) وعكف في فيينا، منذ عام ١٨٨٢ على تشكيل المذهب حتى انتهى من إرساء منهجه عام ١٨٩٤ في كتابه عن " الدولة اليهودية " ثم وضعه موضع التنفيذ في المؤتمر الصهيوني العالمي الأول، بمدينة (بال) في سويسرا عام ١٨٩٧م.

وتيودور هرتزل الذي كان شاغله الأساسي سياسيًا فاليهود في نظره أمة قبل أي شيء آخر قد طرح قضية الصهيونية بشكل جديد. وقال بأنه - نتيجة لتأثره بقضية دريغوس - **استخلص منها النتائج التالية:**

١- اليهود عبر العالم، وفي أي بلد يقطنون، يشكلون شعبًا واحدًا.

٢- وقد كانوا هدفًا للاضطهاد، في كل زمان ومكان.

٣- وهم غير قابلين للاندماج في الأمم التي يعيشون بين ظهرانيها (وهذه من مسلمات العنصرية).

ويمكن تلخيص النتائج العملية التي استخلصها تيودور هرتزل، والحلول التي طالب بها لوضع حد نهائي لهذا العداء والتنافر - الذي هو كما رأى، تنافر دائم وقطعي - **على النحو التالي:**

١- رفض الاندماج، الذي لم يكن مسموحًا به آنذاك في دول أوروبا الشرقية (وخاصة في الإمبراطورية الروسية) على نطاق واسع بصورة متزايدة في أوروبا الغربية - وخاصة في فرنسا، حيث كشفت اللاسامية عن وجهها القبيح بعد قضية دريفوس.

٢- إنشاء " دولة صهيونية " يتجمع فيها كل يهود العالم... وهي ليست " بؤرة " روحانية أو مركز إشعاع للعقيدة وللثقافة اليهوديتين بالنسبة له دائمًا الذي يغنيه في المقام الأول هو دولة تلم شتات اليهود والحفاظ على هويتهم. وقد عرفت أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر عصر القوميات، قيام أفكار جديدة، بأسلوب غربي خالص، تمثل في تلك القومية التي برزت

بكل زخمها في ألمانيا، وكان تأثيرها على هرتزل عميقًا، لا سيما وأن ثقافته كانت جرمانية.

٣- هذه الدولة قد ينبغي إقامتها في مكان " خال " وهذا المفهوم هو المميز للاستعمار الذي كان سائدًا في تلك الحقبة، والذي كان يقضي بعدم الأخذ بعين الاعتبار وجود مواطنين أصليين. وقد اعتمد هرتزل وقادة الصهيونية السياسية من بعده، على هذه المسلمة الاستعمارية التي سوف تتحكم بمستقبل المشروع الصهيوني كله، ودولة إسرائيل التي انبثقت عنه. أما المكان فلم يكن له أهمية في نظر تيودور هرتزل الذي كان أمام أن يختار مقرًا لشركته الاستعمارية ذات الامتياز جنين الدولة المقبلة، بين الأرجنتين وفقًا لاقتراح البارون هيرش، وبين أوغندا، التي اقترحتها بريطانيا.

وأنه لأمر ذو مغزى أن يقوم هرتزل باستشارة " سيسيل رودس " الذي كان ينفذ مشروعه طابعًا استعماريًا، على حد تعبير هرتزل نفسه. غير أن هرتزل فكر بإيلاء فلسطين الأفضلية بين الأراضي المرشحة لغرس الدولة اليهودية فيها، تحت ضغط تيار وجماعات " أحباء صهيون " ومن منطلق اهتمامه هو أيضًا باجتذاب تيار " عشاق صهيون " وتقوية الحركة الناشئة عنه، واضعًا في خدمة أغراضه ترائًا دينيًا لم يكن هو في الحقيقية شخصيًا ليؤمن به. (إذا كان في كونه أصلا، من دعاة اللاإدرية). ولكن كان من صالحه، ولفائدة مخططاته، أن يظل الالتباس قائمًا، وأبلغ مثال على مدى استغلال هذا الغموض، فقد ظهر بعد وفاة هرتزل في " تصريح بلفور " عام ١٩١٧، حينما أعلنت الحكومة البريطانية أنها تؤيد إقامة " وطن قومي لليهود " في فلسطين، لا يلحق الضرر بالسكان الأصليين، بينما استغل زعماء الصهيونية هذا التصريح في اتجاه إنشاء " دولة فلسطين اليهودية " بإلغاء كل وجود للسكان الأصليين، تأمينًا لبسط سيادة الدولة الصهيونية على فلسطين كلها.

وتم الانتقال من الجدل السياسي إلى المحاربة بالدين، انطلاقًا من بلبلة

ثانية ومزج آخر لا يكتفي معهما بالتسلل خفية من الصهيونية السياسية (تسلل يسخر الدين لخدمة السياسة، ويتيح إضفاء القداسة على سياسة معينة بقصد اعتبارها من المحرمات التي لا يجوز المساس بها) بل تستغل القرابة القائمة بين الصهيونية السياسية وبين الديانة اليهودية، من أجل توجيه تهمة مناهضة السامية إلى كل من ينتقد السياسة الصهيونية التي يتبعها القادة الإسرائيليون.

وقد برزت أفكار أساسية حول اللاسامية في كتاب برنار لازار " اللاسامية - تاريخها وأسبابها " المنشور عام ١٨٩٤م، في أجواء مشبعة بأحداث قضية دريفوس، ونشوء الصهيونية السياسية على يد تيودور هرتزل. وكان كتاب " برنار لازار " هذا ردًا على أوسع المؤلفات عن اللاسامية انتشارًا " فرنسا اليهودية " لكاتبه دروموند ١٨٨٦م.

ولا ريب في أن الصهيونية هي اختزال تاريخي ترشَّح عن الماسونية اليهودية، وأن الصهيونية اليهودية والماسونية اليهودية في أعلى مراتبها متوازيتان من حيث الاعتقادات الكبرى، وهما في أعل مراتبها لا تعتقدان - كما يظن البعض - بالإلحاد، وإن كانتا تدعوان إليه العامة والعوام من غير اليهود، بل وبعض العامة من اليهود بقصد التضليل وتيسير العمل لتحقيق أهدافهما من وراء الأكمة وستار من الشعارات الزائفة باسم الحرية...

لذا فالإلحاد يعتبر بمنظور الصهيونية اليهودية العليا غباء فكري وحمق علمي لا يجوز الاعتقاد به إلا للعامة يهودًا كانوا أم غير يهود، وهو مطلوب أساسًا ومشجع عليه ومرحب به ويتم الحث على الاعتقاد به ونشره لما قدمنا - فالإلحاد هو بالنسبة لخلاصة المعتقد اليهودي معتقدًا لابد للعامة أن يعتقدوه، وهو شرط لازم للترقي في درجات الماسونية العامة والتي تشمل بوتقتها - أي الماسونية - مختلف الشرائح من مختلف الانتماءات الدينية والعرقية والقومية والسياسية والاجتماعية، والماسونية تعتبر أكبر دائرة تحوى في نطاقها الملاحدة ممن يعتقدون بالإلحاد

وينكرون وجود الإله الخالق أو يرفضون أن يتقبلوا فكرة وجود الخالق مهما كانت الدلائل والأدلة لوجود حاجز نفسي ودافع نفسي مبطن بالفكر...

وإذا كانت اليهودية الصهيونية في ركيزتها العقيدية الأساسية - لدى قادتها ومفكريها - ليست ملحدة.. أي لا تنكر وجود الإله الخالق الواحد.. إلا أنها بالمقابل تحوز على عقيدة الكفر المطلق!! والكفر في لغتنا هو التغطية والستر... حتى إن الفلاح لكونه يقلب التربة ويغطي ويدفن البذور في تراب الأرض.. يسمى أيضًا في قواميس اللغة كافرًا..

وأعتقد أن أفضل ما يمكن أن نوضح به هذا هو ضرب المثل واستعارة المثال:

فإذا ما تساءلنا عما إذا كان إبليس الشيطان يعتقد بالإلحاد؟!

الجواب على ذلك هو بالطبع كلا.

إذن ما هو معتقد إبليس الشيطان؟

الجواب هو.. معتقده الكفر المطلق!

فإبليس لم يلحد أي لم ينكر الاعتقاد بالإله الواحد الخالق ووجوده سبحانه، بل على العكس هو يعتقد يقينًا وبكامل الاعتقاد اليقيني بوجود الإله الواحد الخالق، وبالمقابل هو يحض على الاعتقاد بالكفر المطلق!

عندما نفهم تمامًا مثال ونموذج إبليس الشيطان، فحينها أيضًا سنستوعب تمامًا كيف يكون الكفر المطلق مقترنًا بعدم إنكار وجود الإله الواحد الخالق.. وسبحان من أنزل هذا الكلام.

قال تعالى:{ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ } [الأعراف: ١٦ - ١٧].

قال تعالى:{ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ } [الكهف: ٥٠].

إبليس الشيطان في القرآن الكريم والمعتقد الإيماني الصحيح لكل الأديان السماوية التوحيدية هو الذي تكبر على أمر الله تعالى وكفر بتغطية فطرته وسترها بستار الكبر، وتحدى وأخذ العهد على نفسه بمحاربة بني آدم وإغوائهم وإبعادهم عن الصراط المستقيم عندما نفهم تمامًا مثال ونموذج إبليس الشيطان فحينها سنستوعب أيضًا وتمامًا ما هي أهم تفاصيل المعتقد اليهودي الصهيوني بحذافيره التي تخطر أهم أساسياتها عن العموم بمن فيهم شريحة من اليهود.

إذن إبليس لم يلحد وإنما يعتقد يقينًا بالله تعالى الواحد الذي لا شريك له ولكنه في صلب اعتقاده هذا كفر بتغطية وستر هذا المعتقد الفطري وأصر على استكباره ومحاربته لله ورسله والصراط المستقيم، وهنا تكمن عقيدة الكفر المطلق.

فالكفر المطلق هو عندما يوجد الاعتقاد ويقترن بالإنكار، والاستكبار، والإصرار على التحدي والمحاربة دون الركون للتواضع أمام حقيقة هذا الاعتقاد.

ولنستقي بعضًا من الأمثلة من الماسونية اليهودية التي أفرزت الصهيونية السياسية التي تأسست علنًا بمساعي هرتزل ونشاطه هي الحديثة نسبيًا مقارنة بالصهيونية اليهودية كمعتقد قديم نسبيًا أيضًا لاقتران بذور هذا المعتقد وخطوطه العامة والخاصة مع اليهود منذ القدم - كما قدمنا من قبل - ولنقارن هذه الأمثلة من الماسونية اليهودية بموقف ونموذج إبليس الشيطان. سواء اعتقد بعضنا بأن الشيطان إبليس هو رمزي المثال أو اعتقد البعض الآخر بأنه حقيقي...

ففي الماسونية اليهودية يرد كثير من الأمثلة التي تريد أن تدلل على أن من إحدى ركائز المعتقد اليهودي الصهيوني هو محاربة الله الواحد ورسله [1].

يقول الماسوني اليهودي أرجي في أحد المحافل الماسونية في أوروبا:

(١) يراجع في ذلك كتاب عالم خفايا الصهيونية.

" على الإنسان أن ينتصر على الإله، وأن يخرق السماوات ويمزقها كالأوراق ".

وفي أقوال أخرى صادرة عن نفس القوم [١] :

" الماسونية يجب أن تنتصر على الأديان وعلى دين البدو المسلمين ".

" الماسونية اليهودية تقع على عاتقها مسؤولية ثورة إلحادية عالمية ".

" كل من يهتم بالدين فيجب ألا يترك وشأنه ".

" الماسونية اليهودية تشجع دومًا على إشغال الجوييم بالملذات البهيمية ".

" الماسونية اليهودية ستنتصر على الأديان، وستنتصر على الإسلام كما انتصرت على غيره، وستخلو المساجد من روادها، وستتحول إلى محافل ماسونية ترتفع فوق قبتها نجمة داود ".

أليس هذا الكلام الصادر عن الماسونية في نهاية القرن التاسع عشر هو المعتقد الإبليسي نفسه الذي يجسد نموذج الكفر المطلق الذي يعتقدونه بالاشتراك مع إبليس الشيطان.

وألا يدل هذا على أن اليهودية الصهيونية تجسد تمامًا واقعيًا وموضوعيًا نموذج إبليس الشيطان وقد يجدر الذكر في هذا الخصوص أيضًا أنه في أوضح الشروح التي تقدم تفسيرًا للإله يهوه هي أنه رب اليهود الصهاينة والماسونية اليهودية ليس إلا وأن الجوييم (غير اليهود) فلهم آلهتهم المصطنعة الخاصة بهم.

فالاعتقاد الإيماني الذي يعمل الصهاينة على تنشئة أجيالهم عليه هو الإيمان بالرب يهوه الذي يعتبرونه ربهم الخاص باليهود فقط دون سواهم.. وأما غيرهم من الجوييم فقد خلقوا لخدمتهم فقط وبصور آدمية حتى لا يأنفوا من خدمتهم... وبالطبع وترتيبًا على ذلك فواضعو التعاليم عن لسان يهوه هم حاخامات الصهاينة قديمًا وحديثًا قد اختزلوا في التلمود كل انحراف النفس اليهودية التي يدعوها يهوه - على حد قولهم وشروحهم - لأن تكون عنصرية حتى النخاع...

(١) المصدر السابق.

تعريف الأيديولوجية الصهيونية:

إذا كانت الأيديولوجية هي منظومة متماسكة من المعتقدات والأفكار تتكون من:

١ – **العنصر المعياري**: المبادئ والمثل والمعايير التي تعبر عن نظرة الجماعة إلى الحياة السياسية والاجتماعية.

٢ – **عنصر نظري**: معتقدات الجماعة المعبرة عن موقفها من طبيعة الواقع الذي تحيا في كنفه.

٣ – **فلسفة الجماعة**: في نظرتها للحياة ومركز الإنسان فيه.

فإننا نستطيع أن نعرف الأيديولوجية الصهيونية بأنها مجموعة من المعتقدات الزائفة والتي لا تتطابق مع الواقع، وهي نسق كاذب غير منطقي وبعيدًا عن الحقيقة، اعتمدت على الفلسفة للبرهنة على نتائج سياسية، وهي تحقيق لرؤية سياسية اعتمادًا على الأساس الديني، وقوى ذرائعية.

وإذا تعرضنا للبحث عن أسس الأيديولوجية الصهيونية نجدها تعتمد على مقولات زمانية أهمها:

١- لليهود جسد واحد متناسق، ممتد في الزمان والمكان، والمشكلة اليهودية ولدت من رحم الدياسبورا.

٢- ضرورة تجميع اليهود في مكان واحد " أرض الميعاد ".

٣- حفاظ اليهود على تمايزهم عبر التاريخ.

ومن المقولات الصهيونية الفلسفية الواجب دحضها:

١- اعتبار الحركة الصهيونية أن الفكر يخلق الواقع الاجتماعي وينتجه، وهذه المقولة خالية من الصحة، ولا أساس علمي لها، لأن العلم ومناهجه المختلفة يؤكدان أن الواقع الاجتماعي هو الذي يخلق الفكر، وهو إفراز له، ولكن الصهيونية رفضت ذلك وادعت أنها كفكرة هي القوة الخالقة للواقع الاجتماعي الذي عملت على تجسيده فوق أرض فلسطين "

تجميع اليهود ".

٢- رفضها لفكرة الرابط المنطقي للظواهر، وإنكارها للتأثير المتبادل فيما بينها " الظواهر "... وهذا ما يتعارض كليًا مع منطق وأسس المنهج العلمي الذي يقول: أنه يستحيل معرفة وفهم الظاهرة بشكل صحيح بعد عزلها عما يحيطها أو تجريدها من ظروفها العضوية واقتلاعها من بيئتها التاريخية؛ لأنه لا يوجد جوهر ثابت للصهيونية التي لا يمكن إسقاطها على مجرى التاريخ، فلا وجود لجوهر ثابت للصهيونية يبقى ولا يتغير عبر التحولات التاريخية التي تؤثر على الظواهر والأعراض فقط، وليس على الجوهر الدائم نفسه، فهذه رؤية نقدية للتاريخ، فالصهيونية بقولها أن اليهود جوهر ثابت لا يتغير ولا يتأثر بالظواهر الاجتماعية التي تحيط به هو قول خال من الصحة، ولو كان ذلك صحيحًا فلماذا تأثر وجودهم في أوروبا بعد تحولها من النظام الإقطاعي إلى النظام الرأسمالي فلو كان اليهود جوهر لا يتأثر فلماذا برزت المسألة اليهودية ولماذا تغير وضعهم في النظام الرأسمالي، ولماذا غادروا أوروبا باتجاه أماكن متعددة من العالم " الولايات المتحدة على سبيل المثال " ؟

٣- رفض التغير والانتقال من حالة إلى أخرى والادعاء بالاستقرار، علمًا أن الكون بكافة ظواهره الاجتماعية والمادية في حالة تغير مستمر فحسب هيراقليطس فإن كل شيء في تغير مستمر.

٤- إزالة فكرة التناقض من الدائرة اليهودية. فلا تناقض بين ذات يهودية وذات يهودية أخرى لا في الزمان أو المكان، وبالتالي فلا يوجد تناقض بين اليهود والصهيونية الأغيار - العالم - اليهود. تناقض جدلي منعكس في الفكر.

وبالطبع فإن ذلك يعتبر منهجًا ميتافيزيقيًا.

وكأن المقولات الصهيونية لا تدركها الحواس ولا يستوعبها أو يقيمها العقل الإنساني - فما تلك المقولات إلا مقولات وضعية تم فهمها فلسطينيًا

بل وتم تجاوزها... وعلى هذا الأساس يخوض الفلسطينيون الصراع بكافة الوسائل ومختلف السبل.. ومهما حاول الصهاينة الوقوف في وجه الحقيقة الفلسطينية ومحاربتها، فإنهم لم ينجحوا في استمرار تبريرهم؛ لاغتصاب الحق الفلسطيني النقيض الرئيسي لهم ولمقولاتهم.

ومن المعروف لدينا ولدى الغرب والولايات المتحدة - وإن كانوا يغضون الطرف عن ذلك - أن الصهيونية تستمد فكرها ومعتقداتها من الكتب المقدسة التي حرفها اليهود، وقد صاغت الصهيونية هذا الفكر وهذه المعتقدات في بروتوكولات حكماء صهيون - ومن هذه المعتقدات:

- تعتبر الصهيونية أن هدفها هو السيطرة اليهودية على العالم كما وعدهم إلههم يهوه، وتعتبر المنطلق لذلك هو إقامة حكومتهم على أرض الميعاد التي تمتد من نهر النيل إلى نهر الفرات.

- اعتقاد اليهود بأنهم هم العنصر المميز الممتاز الذي يجب أن يسود وكل الشعوب الأخرى (الجوييم) خدم لهم.

- ويرون أن أقوم السبل لحكم العالم هو إقامة الحكم على أساس التخويف والعنف.

- ويدعون إلى تسخير الحرية السياسية من أجل السيطرة على الجماهير ويقولون: يجب أن نعرف كيف نقدم لهم الطعم الذي يوقعهم في شباكنا.

- ويقولون: لقد انتهى العهد الذي كانت فيه السلطة للدين، والسلطة اليوم للذهب وحده، فلابد من تجميعه في قبضتنا بكل وسيلة لتسهل سيطرتنا على العالم.

- ويرون أن السياسة نقيض للأخلاق، ولابد فيها من المكر والرياء، أما الفضائل والصدق فهي رذائل في غرف السياسة.

- يقولون: لابد من إغراق الأمميين في الرذائل بتدبيرنا عن طريق من تهيئهم لذلك من أساتذة، وخدم، وحضانات، ونساء الملاهي.

- يقولون: يجب أن نستخدم الرشوة والخديعة والخيانة دون تردد ما دامت تحقق مآربنا.

- ويقولون: يجب أن نعمل على بث الفزع الذي يضمن لنا الطاعة العمياء ويكفي أن يشتهر عنا أننا أهل بأس شديد ليذوب كل تمرد وعصيان.

- يقولون: ننادي بشعارات الحرية، والمساواة، والإخاء لينخدع بها الناس ويهتفوا وينساقوا وراء ما نريد لهم.

- ويقولون: لابد من تشييد ارستقراطية تقوم على المال الذي هو في يدنا والعلم الذي اختص به علماؤنا.

- ويقولون: سنعمل على دفع الزعماء إلى قبضتنا وسيكون تعيينهم في أيدينا واختيارهم يكون حسب وفرة أنصبتهم من الأخلاق الدينية وحب الزعامة، وقلة الخبرة.

- يقولون: سنسيطر على الصحافة تلك القوة الفعالة التي توجه العالم نحو ما نريد.

- يقولون: لابد من توسيع الشقة بين الحكام والشعوب، وبالعكس ليصبح السلطان كالأعمى الذي فقد عصاه ويلجأ إلينا لتثبيت كرسيه.

- ويقولون: لابد من إشعال نار الخصومة الحاقدة بين كل القوى لتتصارع وجعل السلطة هدفًا مقدسًا تتنافس عليه كل القوى وتسقط الحكومات وتقوم حكومتنا العالمية على أنقاضها.

- يقولون: سنقدم إلى الشعوب الفقيرة المظلومة في زي محرريها ومنفذيها من الظلم، وندعوها إلى الانضمام إلى صفوف جنودنا من الاشتراكيين والفوضويين والشيوعيين والماسونيين وبسبب الجوع سنتحكم في الجماهير ونستخدم سواعدهم لسحق كل من يعترض سبيلنا.

- يقولون: لابد أن نفتعل الأزمات الاقتصادية، لكي يخضع لنا الجيمع بفضل الذهب الذي احتكرناه.

- يقولون: إننا الآن بفضل وسائلنا الخفية في وضع منيع بحيث إذا هاجمتنا دولة نهضت أخرى للدفاع عنا.

- **يقولون:** إن كلمة الحرية تدفع الجماهير إلى الصراع مع الله ومقاومة سنته ويتغير أعضاؤها على الدوام، وهي الكفيلة بتوجيه حكام الأمميين كما نريد.

- يقولون: لابد أن نهدم دولة الإيمان في قلوب الشعوب وننزع من عقولهم فكرة وجود الله ونحل محلها قوانين رياضية مادية لأن الشعب يحيا سعيدًا هانئًا تحت رعاية دولة الإيمان. ولكي لا ندع للناس فرصة المراجعة يجب أن نشغلهم بشتى الوسائل، وبذلك لا يفطنون لعدوهم العام في الصراع العالمي.

- ويقولون: لابد أن نتبع كل الوسائل التي تتولى نقل أموال الأمميين من خزائنهم إلى صناديقنا.

- يقولون: سنعمل على إنشاء مجتمعات مجردة من الإنسانية والأخلاق، متحجرة المشاعر، ناقمة أشد النقمة على الدين والسياسة، ليصبح رجاؤها الوحيد تحقيق الملاذ المادية، وحينئذ يصبحون عاجزين عن أي مقاومة؛ فيقعون تحت أيدينا صاغرين.

- يقولون: سنقبض بأيدينا على كل مقاليد القوى ونسيطر على جميع الوظائف وتكون السياسة بأيدي رعايانا وبذلك نستطيع في كل وقت بقوتنا محو كل معارضة مع أصحابها من الأمميين.

- يقولون: لقد بثثنا بذور الشقاق في كل مكان بحيث لا يمكن اجتثاثه، وأوجدنا التنافر بين مصالح الأمميين المادية والقومية وأشعلنا نار النعرات الدينية والعنصرية في مجتماتهم، ولم ننفك عن بذل جهودنا في إشعالها منذ ٢٠ قرنًا ولذلك من المستحيل على أي حكومة أن تجد عونًا من أخرى لضربنا، وأن الدول لن تقدم على إبرام أي اتفاق مهما كان ضئيلاً دون موافقتنا لأن محرك الدول في قبضتنا.

- يقولون: لابد من الانتفاع بالعواطف المتأججة لخدمة أغراضنا عـوض إخمادها ولابد من الاستيلاء عـلى أفكـار الآخـرين، وترجمتهـا بـما يتفـق مـع مصالحنا بدل قتلها.

- **ويقولون:** سنولي عناية كبرى بالرأي العـام إلى أن نفقـده القـدرة عـلى التفكـير السليم، ونشغله حتى نجعله يعتقد أن شائعتنا حقائق ثابتة ونجعله غير قادر على التمييز بين الوعود الممكن إنجازها، والوعود الكاذبة فلابد أن نكون هيئات يشـتغل أعضـاؤها بإلقاء الخطب الرنانة التي تغدق الوعود ولابد أن نبث في الشعوب فكـرة عـدم فهمهـم للسياسة وخير لهم أن يدعوها لأهلها.

- يقولون: سنكثر من إشـاعة المتناقضـات ونلهـب الشـهوات ونـؤجج العواطف.

- يقولون: سننشئ إدارة الحكومة العليا، ذات الأيدي الكثيرة الممتـدة إلى كل أقطار الأرض والتي يخضع لها كل الحكام.

- يقولون: يجب أن نسيطر على الصـناعة والتجـارة ونعـود النـاس عـلى البذخ والترف والانحلال، ونعمـل عـلى رفـع الأجـور، وتيسـير القـروض، ومضاعفة فوائدها، عند ذلك سيخر الأمميون ساجدين بين أيدينا.

- يقولون: يجب علينا في الرسميات أن نتظاهر بنقيض ما نضمر فنستنكر وننادي بالحريات وننند بالطغيان.

- يقولون: لابد أن تكون الصحافة جميعها بأيدينا إلا صـحفًا قليلـة غـير محتفل بها، وسنستعملها لبث الشائعات حتى تصـبح حقـائق وسنشـغل بهـا الأمميين عما ينفعهم ونجعلهم يجرون وراء الشهوة والمتعة.

- يقولون: الحكـام أعجـز مـن أن يعصـوا أوامرنـا؛ لأنهـم يـدركون أن السجن أو الاختفاء من الوجود مصير المتمرد منهم فيكونوا طاعة لنـا وأشـد حرصًا ورعاية لمصالحنا.

- يقولون: سنعمل عـلى ألا يكشـف مخططنـا قبـل وقتـه ولا نهـدم قـوة

الأمميين قبل الأوان.

- يقولون: نحن الذين وضعنا طريقة التصويت ونظام الأغلبية المطلقة ليصل إلى الحكم كل من نريد بعد أن نكون قد هيأنا الرأي العام للتصويت عليهم.

- يقولون: سنفكك الأسرة وننفخ روح الذاتية في كل فرد ليتمرد، ونحول دون وصول ذوي الامتياز إلى الرتب العالمية.

- ويقولون: لا يصل إلى الحكم إلا أصحاب الصحائف السود غير المكشوفة وهؤلاء سكونون أمناء على تنفيذ أوامرنا خشية الفضيحة والتشهير، كما نقوم بصنع الزعامات وإضفاء العظمة والبطولة عليها.

- يقولون: سنستعين بالانقلابات، والثورات كلما رأينا فائدة لذلك.

- ويقولون: لقد أنشأنا قوانا الخفية لتحقيق أهدافنا ولكن البهائم من الأمميين يجهلون أسرارها فوثقوا بها وانتسبوا إلى محافلها فسيطرنا عليهم وسخرناهم لخدمتنا.

- ويقولون: أن تشتيت شعب الله المختار نعمة وليست ضعفًا وهو الذي أفضى بنا إلى السيادة العالمية.

- ويقولون: ستكون كل دور النشر بأيدينا وستكون سجلات التعبير عن الفكر الإنساني بيد حكومتنا وكل دار تخالف فكرنا سنعمل على إغلاقها باسم القانون.

- يقولون: ستكون لنا مجلات وصحف كثيرة مختلفة النزعات والمبادئ وكلها تخدم أهدافنا.

- يقولون: لابد أن نشغل غيرنا بألوان خلابة من الملاهي والألعاب والمنتديات العامة والفنون الجنسية، والمخدرات لنلهيهم عن مخالفتنا أو التعرض لمخططاتنا.

- يقولون: سنمحو كل ما هو جماعي، وسنبدأ المرحلة بتغيير الجامعات

وسنعيد تأسيسها حسب خططنا الخاصة.

- يقولون: **سنتصرف مع كل من يقف في طريقنا بكل عنف وقسوة.**

- ويقولون: **سنكثر من المحافل الماسونية، وتنشرها في كل وسط لتوسيع نطاق سيطرتنا.**

- ويقولون: **عندما تصبح السلطة في أيدينا، لن نسمح بوجود دين غير ديننا على الأرض** (١).

ومما تقدم يتضح لنا ومما لا يدع أي مجال للشك أن الصهيونية قديمة قدم التوراة نفسها، وهي التي أججت الروح القومية عند اليهود منذ أيامها الأولى. وأن حركة هرتزل ما هي إلا تجديد وتنظيم للصهيونية القديمة التي تقوم على تعاليم التوراة المحرفة والتلمود المؤلف من بحوث أحبار اليهود وفقهائهم لكل جوانب الحياة وتبديد وضعهم الاجتماعي والسياسي والذي يعتبره اليهود دستورًا دينيًا - رغم ما يغرسه في نفوسهم ونفوس أجيالهم اللاحقة احتقار المجتمع البشري وأكل أموال الناس بالباطل والسطو على أرواحهم وأعراضهم وأراضيهم بالباطل.

فالصهيونية هي الواجهة السياسية لليهودية العالمية وهي كما وصفها اليهود أنفسهم (مثل الإله الهندي فشنو الذي له مائة يد)، فهي لها في جل الأجهزة الحكومية في العالم يد مسيطرة موجهة تعمل لمصلحتها، فحقيقة الأمر أن الصهيونية هي التي تقود إسرائيل وتخطط لها:

والماسونية والصهيونية تتحرك قياداتها الموحدة بتعاليم وتوجيهات موحدة تخضع لها زعماء العالم ومفكريه، وللصهيونية كما للماسونية مئات الجمعيات في أوروبا وأمريكا في مختلف المجالات التي قد تبدو متناقضة بعض الشيء في الظاهر لكنها كلها في الواقع تعمل لمصلحة اليهودية العالمية. وهناك من يبالغ في قوتها مبالغة كبيرة جدًا، وهناك من يهون من

(١) يراجع كتاب عالم خفايا الصهيونية للدكتور/ يوسف المصري.

شأنها، والرأيان فيهما خطأ على أن استقراء الواقع يدل على أن اليهود الآن يحيون فترة علو استثنائية - وسبحان من أنزل هذا الكلام:

قال تعالى:{وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾} [الإسراء: ٤ - ٧].

لذا قد نخلص مما تقدم أن الصهيونية حركة سياسية عنصرية متطرفة تعمل تحت مظلة دينية عنصرية متطرفة أيضًا ترمى للهيمنة على العالم كله من مقر دولتهم العبرية العنصرية في فلسطين، واسمها مشتق من اسم جبل صهيون في فلسطين، وقد قامت كأحد إفرازات تحريف تعاليم التوراة والتلمود التي تدعو إلى احتقار المجتمع البشري، وتحض على الانتقام من غير اليهود. وقد قنن اليهود مبادئهم الهدامة فيما عرف ببروتوكولات حكماء صهيون التي تحوي بيقين أخطر مقررات في تاريخ العالم.

وفي رأينا أن المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في بال بسويسرا وما تلده من مؤتمرات ما هي إلا مؤتمرات ماسونية، ويؤكد لنا هذا يقينا ما جاء في خطاب تيودور هرتزل في المؤتمر الأول حيث قال:

" عندما تخمد نيران الثورة التي تقوم بها جميعًا في سائر البلدان، وينتج عنها حتمًا سقوط الحكومات القائمة وإحلال سلطتنا محلها، عندئذ تأمر الجميع بحل الجمعيات السرية القائمة، وهي كما تعلمون تضم إلى جانب ما تضمه من جهابذة الماسونية (اليهود) رجالاً من الخوارج (غير اليهود)، وتصبح السلطة في أيدينا نكون قد بلغنا المرام فلا نعد بحاجة إلى شعارات الحرية والإخاء والمساواة لأنها أدت الرسالة المطلوبة منها ".

لقد لعبت الماسونية دورًا أساسيًا بكل معنى الكلمة في إنشاء دولة

إسرائيل منذ بداية ظهور المشروع الاستيطاني الاستعماري على أرض فلسطين وفي الكثير من الأحداث التي وقعت هنا وهناك **قد نورد منها ما يلي:**

- قامت الجمعيات الماسونية بدور بارز جدًا في شراء الأراضي على أرض فلسطين حين قامت بإنشاء أكبر محافلها في مدينة القدس تحت مسمى جمعيات خيرية تهدف لمساعدة الضعفاء وذلك في عهد الدولة العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر.

- ترتبط الماسونية بعلاقات وثيقة جدًا ببعض المذاهب الخارجة عن الإسلام بل ساهمت في نشأتها وبروزها وانتشارها ودعمها ومن أشهرها البابية والبهائية، وقد يتضح ذلك من بعض الرموز التي تستند إليها البهائية في تعاليمها وعلاقتها بالأبجدية العبرية كما يتمتع البهائيون بكل الحفاوة والتكريم من قبل يهود العالم خاصة في إسرائيل، حيث يوجد في مدينة حيفا الفلسطينية أكبر محفل بهائي ضخم (البيت العالمي للعدالة) وبالقرب منه في مدينة عكا يوجد مقر آخر.

- للماسونية محافل ليست بالقليلة في بعض الدول العربية، والكثيرون من أعضاء تلك المحافل مؤيدون سواء بشكل مباشر أو غير مباشر للسياسة الصهيونية ودعم مخططاتها.

لذا كان منطقيًا أن جاءت إلينا فتوى من مؤتمر القمة الإسلامي الأول الذي عقد في مكة المكرمة أصدرها كبار العلماء حول الماسونية تعتبر أن التعامل معها ضربًا من ضروب الكفر، يخرج صاحبه عن الملة، وأن أعضاءها ومحافلها معاول هدم ضد الإسلام، والمؤمنين به ويجب محاربتها.

* * *

المسيحية الصهيونية

منذ بداية تأسيس الولايات المتحدة الأمريكية في القرن السابع عشر، لعبت الرؤى الأصولية المسيحية البروتستانتية دورًا كبيرًا في تشكيل هوية الدولة.. وقد يرجع ذلك إلى أن أغلب المهاجرين الأوروبيين إلى الأراضي الأمريكية كانوا يحملون العقيدة البروتستانتية الأصولية والتي كانوا يحاولون تطبيقها في مجتمعاتهم ولم ينجحوا.

ولا يغيب عن أي باحث مدقق أن العقيدة البروتستانتية قد تأثرت كثيرًا باليهودية، وترتيبًا على ذلك نتج هذا التحالف المقدس بين البروتستانتية واليهودية بصورة عامة، ونجمت هذه العلاقة الأكثر خصوصية بين الصهيونية اليهودية، والبروتستانتية الأصولية.

وعلى أية حال فإنه يمكننا القول بأن البروتستانتية في الولايات المتحدة تتميز بصفتين يمكن من خلالهما فهم محاور المسيحية الصهيونية:

- هيمنة الاتجاه الأصولي على البروتستانتية.
- سيطرة التهود على الأصوليين البروتستانت.

كما يمكن القول بأن المسيحية الصهيونية (Christian Zionism) تقر بضرورة عودة الشعب اليهودي إلى أرضه الموعودة في فلسطين، وإقامة كيان يهودي فيها يمهد للعودة الثانية للمسيح، وتأسيسه لمملكة الألف عام، وذلك حتى قبل تأسيس دولة إسرائيل.

لذا أيضًا يمكننا أن نؤكد يقينًا بأن فكرة إنشاء " وطن قومي لليهود في فلسطين " التي آمن بها المسيحيون البروتستانت قبل اليهود أنفسهم بها هي أهم ما يجمع بين الطرفين.

ومصطلح المسيحية الصهيونية لم يتم استخدامه أو الإشارة إليه كثيرًا قبل حقبة التسعينات من القرن العشرين - وتصنف هذه المدرسة ضمن أهم وأخطر جماعات حركة البروتستانت الإنجيليين (Protestant

Evangelical) التي تضم أكثر من ١٣٠ مليون عضو في العالم.

وإذا كانت المسيحية الصهيونية أصبحت تعرف بأنها " المسيحية التي تدعم الصهيونية " وأصبحت تتلخص فكرة هذه الحركة في ضرورة هذا الدعم ووجوبه لتحقيق نبوءة الله في مجيء المسيح " المسيا " المنتظر وإعادة بناء الهيكل اليهودي " هيكل سليمان " في الموقع الذي يقوم عليه المسجد الأقصى اليوم وعلى أنقاضه.

وفي رأيهم أن ذلك لن يتم إلا بتحقيق هيمنة إسرائيلية كاملة على كل " فلسطين " (أرض الميعاد) وإضعاف وتقسيم ما حولها من دول عربية وإسلامية ليتسنى تحقيق ذلك الذي في رأيهم سيعمهم البركة الإلهية على العالم.

نشأة الحركة المسيحية الصهيونية:

والمسيحية الصهيونية - كما نعرفها اليوم - نشأت أصلاً في إنجلترا في القرن ١٧، حيث تم ربطها بالسياسة ولاسيما بتصور قيام دولة يهودية حسب زعمها لنبوءة الكتاب المقدس، ومع توالي الهجرات الواسعة إلى الولايات المتحدة أخذت الحركة أبعادًا سياسية واضحة وثابتة، كما أخذت بعدًا دوليًا يتمثل في تقديم الدعم الكامل للشعب اليهودي في فلسطين.

وتتصل جذور هذه الحركة بتيار ديني يعود إلى القرن الأول للمسيحية ويسمى بتيار الألفية (Millenarianism) والألفية هي معتقد ديني نشأ في أوساط المسيحيين من أصل يهودي، وهو يعود إلى استمرارهم في الاعتقاد بأن المسيح سيعود إلى هذا العالم محاطًا بالملائكة والقديسين ليملك في الأرض ألف سنة ولذلك سموا بالألفية.

وهناك تفسير اعتمد تاريخيًا في المسيحية يتضمن على أن الأمة اليهودية انتهت بمجيء المسيح، وأن خروج اليهود من فلسطين كان عقابًا لهم على ما فعلوه بالسيد المسيح وصلبهم إياه، وأن فلسطين هي إرث المسيح للمسيحيين، إلا أن ظهور حركة الإصلاح الديني في أوروبا في

القرن ١٦ برزت مقولة أن " اليهود هم شعب الله المختار " وأنهم الأمة المفضلة عند الرب، وأن هناك وعدًا إلهيًا يربط اليهود بفلسطين، لذا ارتبط الإيمان المسيحي البروتستانتي بعد حركة الإصلاح بالإيمان بعودة المسيح الثانية شريطة قيام الكيان الصهيوني على كل أرض فلسطين.

وفي القرن ١٩ حدث انقسام بين منظري المسيحية الصهيونية، وظهرت مدرستان الأولى بريطانية تدعم نظرية تحول اليهود للمسيحية قبل عودتهم لفلسطين كمسيحيين، والأخرى أمريكية وقد آمنت بأن اليهود يجب أن يعودوا إلى فلسطين كيهود قبل تحولهم للمسيحية..

وقاد فكر المدرسة الأمريكية القس الأيرلندي **جون نيلسون داربي** الذي يعتبر بمثابة الأب الروحي لحركة المسيحية الصهيونية الأمريكية.

وقد بشر داربي لنظريته خلال ٦٠ عامًا بكتابة العديد من المؤلفات التي فصلت رؤيته لنظرية عودة المسيح الثانية ونظرية الألفية، وقام داربي بست زيارات تبشيرية للولايات المتحدة، ومن ثم أصبح داعية مشهورًا له أتباع كثيرون.

وحمل لواء الحركة بعد داربي عدة قساوسة من أشهرهم داويت مودي الذي عرف بترويجه لنظرية " شعب الله المختار "، ووليام يوجين بلاكستون الذي ألف كتاب " المسيح آت " عام ١٨٨٧م وأكد فيه على نظرية حق اليهود التوراتي في فلسطين.

إلا أن أكثر المنظرين تطرفا كان القس ساويرس سكوفيلد الذي ألف كتابًا عنوانه " انجيل سكوفيلد المرجعي " عام ١٩١٧، وهو الكتاب الذي أصبح بمثابة المرجع الأول لحركة المسيحية الصهيونية.

كما يعد اللورد البريطاني شافتسيري من أشهر السياسيين الذين أسهموا في نمو حركة المسيحية الصهيونية.

وكان شافتسيري مسيحيًا محافظًا وعلى علاقة جيدة بصانعي السياسة

البريطانيين في منتصف القرن ١٩.

وفـي مقـال لشافتسـيري نشـر لـه فـي (Quarterly Review) عـام ١٨٣٩م جاء فيه:

" يجـب أن نشـجع عـودة اليهـود إلـى فلسـطين بأعـداد كبيـرة، حتـى يستطيعوا مرة أخرى القيام بالرعي في سامراء والجليل ".

وكان ذلك قبل ٥٧ عامًا من ظهور الحركة الصـهيونية العالميـة، وكـان اللورد شافتسيري هو أول من وصـف اليهود وفلسطين قـائلاً: " شـعب بـلا وطن.. لوطن بلا شعب ".

ويعد تيودور هرتزل مؤسس الصهيونية الحديثة - كما ذكرنا مـن قبـل - هو أول من اسـتخدم مصـطلح " الصـهيونية المسـيحية " وعـرف المسـيحي المتصهين بأنه " المسيحي الذي يدعم الصهيونية " - بعد ذلك تطور المصطلح ليأخذ بعدًا دينيًا، وأصبح المسيحي المتصهين هو " الإنسان الـذي يسـاعد الله لتحقيق نبوءتـه مـن خـلال دعـم الوجـود العضـوي لإسرائيـل، بـدلاً مـن مساعدته على تحقيق برنامجه الإنجيلي من خلال جسد المسيح ".

* * *

الصهيونية المسيحية البريطانية

من المتعارف عليه بين الباحثين تاريخيًا أن بدايات تفسير الكتاب المقدس وربطها بالأهداف السياسية ولاسيما ما يتعلق بتصور دولة يهودية قوميًا تتمة لنبوءة الكتاب المقدس - حسب زعم الألفيين - قد بدأت بشكل بارز في بريطانيا في القرن السابع عشر - قبل الاستقرار السياسي والتنظيمي للولايات المتحدة الأمريكية -.

وقد تسارع هذا التطور إبان العصر الطهري (البيوريتاني) بعد أن كانت تلك المعتقدات الألفية قد تراجعت في العهد " الإلزابيتي ". ومن اتجاهات التطور في العصر البيوريتاني نذكر:

- استعمال العبرية لغة للصلاة في الكنائس.

- فقل يوم ذكرى الاحتفال بقيامه السيد المسيح من يوم الأحد إلى يوم السبت اليهودي.

- مطالبة بعض البيوريتانيين الحكومة بأن تعلن التوراة (أي العهد القديم) دستورًا لبريطانيا.

- في عام ١٥٨٨م تبرز دعوة " بريتمان " وهو رجل دين بريطاني إلى إعادة اليهود إلى الأراضي المقدسة تتميمًا لنبوءة الكتاب المقدس.

- وفي عام ١٦١٥م دعا البرلماني البريطاني " السير هنري فينش " الحكومة إلى دعم عودة اليهود إلى فلسطين حيث كتب: " ليس اليهود قلة مبعثرة، بل إنهم أمة، وستعود أمة اليهود هذه إلى وطنها، وستعمر كل زوايا الأرض... وسيعيش اليهود بسلام في وطنهم إلى الأبد.

ويرى الباحثون أن الركيزة الدينية السياسية الأيديولوجية الأولى للصهيونية المسيحية في بريطانيا قامت على يد " أوليفر كرومويل " فقد كان هذا الأخير على مدى عشر سنوات (١٦٤٩ - ١٦٥٩م) رئيسًا للمحفل البيوريتاني، وهو الذي دعا إلى عقد مؤتمر عام ألف وستمائة وخمس

وخمسين (١٦٥٥) للتشريع لعودة اليهود، أي إلغاء قانون النفي الذي اتخذه الملك " إدوارد ".

ففي هذا المؤتمر تم ربط الصهيونية المسيحية بالمصالح الإستراتيجية لبريطانيا، ومن خلال عملية الربط تلك تحمس " كروميل " لمشروع التوطين اليهودي في فلسطين منذ ذلك الوقت المبكر.

وفي عام ١٨٠٠م برز " القس لويس واي " الذي صار مدير الجمعية اللندنية لترويج المسيحية بين اليهود عام ١٨٠٩م، وقد تحولت الجمعية بجهوده قوة كبرى في التعبير عن عقائد الصهيونية المسيحية بما فيها عودة اليهود إلى فلسطين.

وفي تطوير هذا الاتجاه في بريطانيا ساهمت بشكل كبير شخصية الماسوني " هنري دار موند " عضو مجلس العموم البريطاني، فقد تخلى " دار موند " عن عمله السياسي بعد زيارة الأرض المقدسة، ونذر حياته لتعليم الأصولية المسيحية والكتابة عنها وعن صلتها بعودة اليهود إلى فلسطين.

ومن الجدير بالذكر في هذا الخصوص أن " اللورد شا فتسبوري (١٨١٨ - ١٨٨٥) الذي كان من أكبر المصلحين الاجتماعيين الإنجيليين البريطانيين، وكانت نظرته تتسم بالكراهية والعداء الشديد لليهود، إلا أنه رغم ذلك كان يفضل رؤيتهم بالأراضي المقدسة في فلسطين بدلاً من إنجلترا نظرًا لكونه من الألفيين المتحمسين لهذه النظرية والمناضلين من أجلها وإيمانه الكامل بأن ذلك لن يتحقق إلا بعودة اليهود إلى فلسطين.

أما أشد الصهاينة المسيحيين في بريطانيا ضلوعًا في السياسة فهو القس " ويليام هشلر " (١٨٤٥ - ١٩٣١م) فقد عمل في السفارة البريطانية بفيينا، ونظم عملية تهجير اليهود الروس إلى فلسطين، وفي عام ١٨٩٤م نشر كتابًا عنوانه " عودة اليهود إلى فلسطين " وطرح هذه العودة على قاعدة تطبيق النبوءات الدينية الواردة في العهد القديم، والأهم من كل ذلك أنه كان من المؤمنين المتحمسين لتيودور هرتزل.

وقد أتاح " هشلر " الدعم السياسي والاتصالات خلال المرحلة الحاسمة، وبذل مساعيه في اللوبي من أجل القضية الصهيونية لأكثر من ٣٠ سنة.

وأخيرًا، لابد من ذكر اسم " اللورد آرثر بلفور " مهندس وعد بلفور الذي صدر عام ١٩١٧.

لقد كان " بلفور " من الألفيين ومن الصهاينة المسيحيين، وقد أدت لقاءاته وتخطيطاته مع هرتزل وحاييم وايتزمان وقادة الماسونية إلى التوافق على صدور وعد بلفور رغم تظاهره الكاذب بالعداء لليهود.

* * *

انتشار الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة

وفي القرن العشرين انتقلت الصهيونية المسيحية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ولا سيما بعد إنشاء دولة إسرائيل وترجمت بعض الآيات الدينية بعد أن حرفت تفاسيرها الروحية ترجمة سياسية مباشرة صبت بقوة في دعم دولة إسرائيل، واستخدم الصهيانة المسيحيون وسائل الإعلام الجماهيرية بشكل منقطع النظير لنشر أفكارهم وأوهامهم وأحلامهم ومعتقداتهم.

فإذا أخذنا تصور الصهيونية المسيحية عن نهاية العالم وجدنا فيه كثيرًا من الملامح من الحرب الأمريكية على العراق وغزوها له، وقبل ذلك أيضًا الملامح التي صاحبت الإدارة الأمريكية على أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ المفتعلة بشن حملة إرهاب في العالم أجمع تصديًا على حد زعمها المصطنع للإرهاب الذي طالعها... فنهاية العالم على الطريقة الأمريكية الصهيونية تستند شكلاً على بعض أسفار العهد القديم، كسفر حزقيال، وسفر دانيال، وسفر إشعيا، ومن العهد الجديد على سفر رؤيا يوحنا، ونستنتج من ذلك على أن هذا العالم قد أشرف على النهاية، وأن ألفًا من السنين سيبدأ بعد هذه النهاية وهو يتميز بالسلام والأخوة بين الناس ووفرة الخيرات.. العالم الحالي آت إلى نهاية - حسب زعمهم - لا بفعل جنون حاكم أو سياسي يشعل الحرب النووية، بل لأن هذا - على حسب تفسيرهم - هو قصد الله.

ونهاية العالم بشكله الحالي ليست مدعاة للقلق في عقيدة " الألفيين " لأنها تمهد لمجيء المسيح الثاني. لكن قبل هذا المجيء، على بعض الأحداث أن تقع، وهي ما يطلقون عليها " علامات الأزمنة " أي تبشير العالم، وعودة اليهود، وإعادة بناء دولة إسرائيل على كل الأراضي الفلسطينية وظهور المسيح الدجال (الذي هو في اعتقاد اليهود المسيح المنتظر أي المسيح الحقيقي الذي ينتظرونه، حيث لا يعترفون بالمسيح ابن

مريم عليه السلام، ويؤكدون على أنه هو الذي كان دجالاً) وموجة من الصراعات منها خراب بابل (العراق) وانتصارهم على قوى الشر (القوى الإسلامية ومن يؤازرها بهزيمتها وإضعافها وتقسيمها) وأن كل هذا يتوج من وجهة نظرهم بمعركة فاصلة في " هرمجدون " وهي قرية مذكورة في سفر الرؤيا وتقع في شمال القدس، حيث تزج الأمم في معركة بين قوى الخير وقوى الشر، أي بين الحق والباطل، وعند اقتراب إفناء العالم بشكله الحال يظهر المسيح... كما يعتقد أغلب المسلمين، وخاصة الشيعة منهم بالمجيء الثاني للمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، ولكن بعد ظهور المهدي المنتظر، والمسيح الدجال، وفتنته واشتداد الصراع والقتال بينهما، وسيتولى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام في مجيئه الثاني قتل المسيح الدجال وفتنته، ونصرة المهدي المنتظر والمسلمين وتوحيد القبلة للجميع في الصلاة تجاه الكعبة المشرفة بمكة المكرمة، والإقرار بأنه لم يك سوى رسول نبي مرسل من الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد - وأنه - أي المسيح عليه السلام - ليس بأعظم من إنسان... أي أن الاختلاف الجوهري بين المنتمين للأديان الثلاثة هو حال ماهية المسيح الآتي ودوره.

وعلى أية حال، هناك أكثر من رواية تفصيلية لهذا الحديث الانقضائي، لا مجال لذكرها هنا، لكن المهم في هذا التصور " الرؤيوي " أن السلاح النووي يصبح عندئذ أداة لتحقيق مقاصد الله، وأن الميل إلى تفسير أحداث السياسة الدولية بمنظور " نهاية العالم " يصبح مشروعًا، بل ضروريًا علمًا بأن دعاة الألفية مجمعون على اعتبار الشرق الأوسط مسرحًا للحرب والكارثة المذكورة أعلاه.

ومعظم المسيحيين الأصوليين هؤلاء، إن لم يكن كلهم يسلمون بمذهب " القدرية " أو كما يسميها البعض أيضًا " التدبيرية ". والقدرية هي محاولة اجتهاد في تفسير تاريخ علاقة الله بالبشر بأحوال وأحقاب خاصة. ومن أكبر الناطقين بهذا المذهب العالم اللاهوتي " سمكوفيلد " وهو يقول:

" كل قدر دور من الزمان يمتحن فيه البشر حسبما أوحاه الله من وحي

مخصوص ".

ويجمع منظرو القدريـة في معظمهم على سبعة أقدار أو حقبات زمنيـة تدل على تطور علاقة الله بالبشر، حيث يمتحن الله الجنس البشري في إطاعة إرادته.

والحقبة الحالية أي " دور الكنيسة والنعمة " هو " القدر السادس " من هذه الأقدار والذي ينتهي بعودة المسيح لإقامة مملكته الألفية، وهذا هو " الدور السابع ".

وقد نستطيع القول بأن هذا المذهب يرتكز على افتراضين:

الأول: هـو الفصـل مـا بـين إسـرائيل " شـعب الله علـى الأرض " والكنيسة " شعب الله في السماء ".

أما الثاني: فهو وجوب تفسير الكتاب المقدس دائمًا بطريقة حرفية.

وهكذا فإن هذا المذهب يقود على الأقل إلى نتيجتين:

الأولى: أن الأرض هي ملك للشعب اليهودي.

والثانية: **هي أن النبوءات المتعلقة برجوع اليهود في الشتات إلى الأرض قد تحققت ثانية في القرنين ١٩، ٢٠. ومن هنا يتضح جليًا أن هذا المذهب هو من جهة تحريف للمسيحية، ومن جهة ثانية أيديولوجيا سياسة عنصرية.**

وقد يتبادر إلى الذهن منطقيًا أن التأييد المسيحي الأصولي لإسرائيل الذي يستند عند الكثيرين كما رأينا إلى " رؤية " للعالم ونهايته تفترض تبشير اليهود - إلا أنه من الغريب أن هذا الأمر يزرع الشك في نفوس المتشددين اليهود وحجتهم في ذلك أن أولوية كسب التأييد السياسي لدولة إسرائيل يغلب الاعتبارات الدينية الصرفة... ومع ذلك، فإن مواقف أصولية مسيحية صهيونية، ورغبة منها بتطمين اليهود، ذهبت إلى القول بأن الأمر لا يتعلق بالتبشير أو عدمه فحسب بل هو في الأساس الوقوف إلى جانبهم - أو بالأحرى " تعزيتهم " طبقًا لما جاء في سفر أشعياء في التوراة ٤٠: ١ - ٢:

" عزوا شعبي يقول إلهكم، طيبوا قلب أورشليم ونادوها بأن جهازها قد كمل ".

وأخطر ممثلي هذا التيار وأبرزهم في ذات الوقت جماعة " السفارة المسيحية العالمية في القدس ". وقد تأسست هذه السفارة عام ١٩٨٠م ردًا على سحب ١٣ دولة سفاراتها من القدس استنكارًا لإعلانها عاصمة لإسرائيل، ولهذه السفارة فروع في ٥٠ دولة في

العالم، ولها في الولايات المتحدة وحدها عشرون مكتبًا قنصليًا تقوم بعمل دعائي من مختلف الأنواع، وتجمع المساعدات المالية والعينية وتسوق البضائع الإسرائيلية.. وهو أيضًا ما تفعله المكاتب الأخرى في الدول الأخرى غير الولايات المتحدة...

ومن نشاطات هذه السفارة أيضًا " المؤتمر الدولي للقادة المسيحيين الصهاينة الذي عقد في بازل بسويسرا خلال شهر آب عام ١٩٨٥م، والذي انتهى إلى إصدار بيان، يضيف إلى تكرار المواقف التقليدية المؤيدة لدول إسرائيل و " النائبة عن اللاسامية "، تهنئة لدولة إسرائيل ومواطنيها على إنجازات الأربعين سنة الأخيرة، ودعوة للاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل وبيهودا والسامرة (الضفة الغربية) كأجزاء من أرض إسرائيل، وتحذيرًا للأمم التي تعادي الشعب اليهودي.

ولقد أدان مجلس كنائس الشرق الأوسط هذا البيان بشدة مؤكدين على أن السفارة المسيحية في القدس هي مثال واضح ومفضوح لانحياز التيار المسيحي الأمريكي الأصولي لدولة إسرائيل، ولتوظيف الدين توظيفًا مغرضًا في السياسة.

ولا ريب أن هناك من السلوكيات التي تؤكد لأي باحث مدى عمق العلاقة التي بين الصهيونية المسيحية وإسرائيل ومنها:

- تشجيع الحوار المستمر بين اليهود والمسيحيين ومقاومة معاداة السامية.

- التعريف بالأصول اليهودية للإيمان المسيحي، والتركيز عليها لدرجة تبدو المسيحية فيها وكأنها إحدى الطوائف اليهودية.

- العمل الإنساني بين اللاجئين اليهود.

- مقاومة المواقف اليهودية " المعتدلة " التي تسعى إلى التفاوض بموجب مبدأ الأرض مقابل السلام.

* * *

أدبيات حركة المسيحية الصهيونية

لقد خلصنا أن كلاً من الحركتين الصهيونية اليهودية والصهيونية المسيحية تلتقيان حول مشروع إعادة بناء " هيكل سليمان " في الموقع الذي يقوم عليه المسجد الأقصى اليوم. وأن الهدف الذي تعمل الحركتان على تحقيقه يتمحور حول فرض سيادة يهودية كاملة على كل فلسطين بدعوة أنها " أرض اليهود الموعودة " ومن شأن ذلك أن يؤدي إلى تعميم البركة الإلهية على كل العالم. وأن معتقدات هذه الحركة ترجمت بداية في عام ١٩١٧ مع صدور وعد بلفور الذي أيد فكرة " وطن قومي لليهود في فلسطين " وقد وافق أغلب البروتستانت الأمريكيين على هذه الفكرة، واعتبروا تنفيذها واجبًا دينيًا راسخًا.

وخلصنا أيضًا أن المسيحية الصهيونية قد تأثرت بثلاثة توجيهات يجمع بينها خلفية التفسير الديني المعتمد على النصوص التوراتية، ورغم تباين هذه التوجهات وتناقضها بعضها مع بعض أحيانًا، فإن التفسير الحرفي للتوراة والإيمان بحتمية دعم إسرائيل جمع بينهم. **والحركات الثلاث هي:**

- حركة تهتم بقضية نهاية العالم ومؤشراته.
- حركة تهتم بقضية التقرب من اليهود من أجل المسيح.
- حركة تركز على الدفاع عن إسرائيل، وعلى مباركتها ودعمها بكل ما هو ممكن ومتاح.

وأن أهم ما يجمع بين المسيحية الصهيونية، واليهودية حاليًا يمكن تلخيصه في ثلاث نقاط أساسية:

- التراث المسيحي اليهودي المشترك.
- الأخلاق اليهودية المسيحية.
- الالتزام الأدبي والأخلاقي بدعم إسرائيل.

هذا وقد ترجمت حركة المسيحية الصهيونية أفكارها إلى سياسات داعمة لإسرائيل، وتطلب ذلك خلق منظمات ومؤسسات تعمل بجد نحو تحقيق هذا الهدف. فقد قامت حركة المسيحية الصهيونية بإنشاء العديد من المؤسسات مثل " اللجنة المسيحية الإسرائيلية للعلاقات العامة " و " مؤسسة الائتلاف الوحدوي الوطني من أجل إسرائيل "، ومن أهداف هذه المؤسسات دعم إسرائيل لدى المؤسسات الأمريكية المختلفة، السياسي منها وغير السياسي.

وهناك ما يجاوز ٥٠ مليونًا من أتباع الصهيونية المسيحية داخل الولايات المتحدة وحدها، ويزداد أتباع تلك الحركة خاصة بعدما أصبح لها حضور بارز في كل قطاعات المجتمع الأمريكي.

ويشهد الإعلام الأمريكي حضور متزايدًا لهم حيث أن هناك ما يقرب من ٣٠ محطة تليفزيونية، إضافة إلى أكثر من ١٠٠٠ محطة إذاعية ويعمل في مجال التبشير ما يجاوز من ٨٠ ألف قسيس، وامتد نفوذ الحركة إلى ساسة الولايات المتحدة والغرب بصورة كبيرة، وصلت إلى درجة إيمان بعض من شغل البيت الأبيض بمقولات الحركة والاعتراف بهذا علنيًا.

ولقد كان الرؤساء نيكسون، وجيمي كارتر، ورونالد ريجان، وبوش الأب، وبوش الابن، من أكثر الرؤساء الأمريكيين إيمانًا والتزمًا بمبادئ المسيحية الصهيونية...

أمثلة من آراء مفكري وقادة الغرب والولايات المتحدة الماسون المؤيدين للمسيحية الصهيونية وصراع الحضارات:

- أثر عن جلاد ستون وهو من مشاهير القادة الإنجليز في القرن التاسع عشر- أنه قال: " لا نستطيع قهر المسلمين ما بقى فيهم القرآن والكعبة والأزهر لهذا يجب إعدام القرآن.. " [1].

(١) يراجع " الإسلام وخرافة السيف " للدكتور/ عبد الودود شلبي.

- ومن المعروف أنه عنـدما انتصرـت القـوات الإنجليزيـة عـلى قـوات الخلافة العثمانية عام ١٩١٨م، قال اللنبـي القائـد الإنجليـزي " الآن انتهت الحروب الصليبية "، وعندما دخلت القوات الفرنسية دمشق، داس القائد جورو على قبر صلاح الدين، وقال: " ها قد عدنا يا صلاح الدين "، وتوجه في اليوم التالي إلى حمص، إلى قبر خالد بن الوليد، وقال: " نحن هنا يا خالد " (١).

- وفي تقرير لوزير المستعمرات الإنجليـزي أو رميسي- جـو إلى رئـيس حكومته في ٩/ ١/ ١٩٣٨ ما يأتي:

" إن الحرب العالمية الأولى علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي على الإمبراطورية أن تحاربه، وفرنسا أيضًا، ولفرحتنا فقد ذهبت الخلافة، وأتمنى أن تكون لغير رجعة، إن سياستنا المالية للعرب في الحرب الأولى، لم تكن نتيجة متطلبات تكتيكية ضد القوات التركية، بل كانت مخططة لفصل السيطرة على مكة والمدينة عن الخلافة العثمانية، وللقضاء على الإسلام ذاته. ولسعادتنا فقد أدخل أتاتورك العلمانية وإصلاحات قوية أدت إلى نقص معالم تركيا الإسلامية، ونتج هذا عن إثارتنا للنعرات القومية والعنصرية في تركيا ومصر " (٢).

أما اللورد كرومر المندوب السامي الإنجليـزي بمصرـ في أوائـل القـرن العشرين فقد قال:

" لقد دخل الإنجليز مصر لينشروا الحضارة الإنسانية، وفقًا لتعاليم الدين المسيحي " (٣).

" إن القرآن هو المسؤول عن تأخير مصر في مضمار الحضارة

(١) يراجع كتاب " الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ".
(٢) الوثيقة محفوظة بالمركز العام للوثائق بلندن تحت رقم ٥٥٩٥/٣٧١ - ويراجع أيضًا " الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري " للدكتور/ محمود زقزوق.
(٣)" قصة الاضطهاد الديني " للدكتور/ توفيق الطويل ص ١٧٨.

الحديثة ".

" ولن يفلح الشرق ما لم يرفع الحجاب عن وجه المرأة ويغطى به القرآن " [١].

- وقد قال ونستون تشرشل رئيس الوزراء الإنجليزي (١٩٤٠ - ١٩٤٥) أيضًا:

" لو ترك عرب فلسطين لشأنهم لتركوا مياه الأردن تضيع في البحر الميت ".

" العرب قوم متخلفون يأكلون روث الجمال ".

" العرب كالكلب إذا ضربته سارع إلى لحس حذائك " [٢].

- وهناك جلوب باشا الإنجليزي قائد الجيش الأردني في الأربعينات والخمسينات الذي قال:

" إن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط إنما يعود إلى القرن السابع الميلادي (أي منذ ظهور الإسلام) [٣].

- عندما احتلت فرنسا الجزائر عام ١٨٣٠م أصدرت هيئة البريد في فرنسا طابعًا يحمل خريطة للجزائر يتهاوى فيها الهلال إلى البحر، ويرتفع صليب فيها ليغمر بسناء الأفق [٤].

وعندما قامت ثورة التحرير الجزائرية (١٩٥٤ - ١٩٦٢م) قال جي موليه رئيس الوزراء الفرنسي:

" إن الحركة الإسلامية التي تتسع في إفريقيا هي التي تهدد الإمبراطورية الفرنسية في المغرب ".

---

(١) وجهان لجاك بيرك. مجلة منبر الشرق ص ٥٨ - ويراجع أيضًا ترجمات القرآن في فرنسا للدكتورة/ زينب عبد العزيز.

(٢) سفاحو القرن العشرين لياسر حسين - ص ٤٠، ٦١.

(٣) صورة الإسلام في التراث الغربي - ثابت عيد ص ٣.

(٤) صورة الإسلام في التراث الغربي لثابت عيد ص٣.

وقال جورج بيدو وزير الخارجية: " لن نترك الهلال أبدًا يتغلب على الصليب " [١].

- سأل مذيع إنجليزي كالاهان رئيس الوزراء الإنجليزي عن الموضوعات التي ستبعث في مؤتمر جوايدلوب فقال:

" سنبحث مشكلة إيران ذات الجذور العميقة، وهذا سيجعلنا نتناول حالة تركيا وباكستان وربما كان من الصعب على البعض أن يفهم ما يدور هناك، ولكني كمسيحي مخلص أقول أنه هناك عقيدة معادية لنا في هذه البلاد " [٢].

- ويكشف يوجين روستو مساعد وزير الخارجية الأمريكي ومستشار الرئيس أثناء حرب ١٩٦٧ عن الخلفية الحقيقية للجرائم الأمريكية فيقول:

" إن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية، والحضارة المسيحية، ولقد كان الصراع محتدمًا بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى وهو مستمر حتى اليوم. ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي " [٣].

ويقول أيضًا:

" كثير من الأمريكيين يتصورون أن المسلمين شعوب غير متحضرة، ودمويون، ويعتقدون أن سيوف محمد وأتباعه هي السبب في انتشار الإسلام، ولهذا ينظرون إلى كل المسلمين كأعداء، ولا يلفت انتباهنا سوى أن زعمائهم يحكمون أقاليم تحتوى على البترول وفي الحقيقة ليس هناك صورة أسوأ في ذهن وضمير المواطن الأمريكي من صورة العالم الإسلامي " [٤].

---

(١) أعداء الحل الإسلامي للدكتور/ يوسف القرضاوي ص ٢٦.
(٢) الخائفون من الإسلام لماذا؟ للدكتور/ محمد نعيم ياسين ص٤١.
(٣) العالم الإسلامي والمكائد الدولية لفتحي يكن ص ٦٥.
(٤) صورة الإسلام في التراث الغربي - لثابت عيد ص٥.

- ويقول نيكسون محذرًا من الإسلام في مجلة الشؤون الخارجية الأمريكية عام ١٩٨٥م وفي كتابه " انتظروا الفرصة " إذ يقول:

" الإسلام قوة هائلة، وفي الحقيقة أن تزايد عدد سكانه والقوة المالية التي يتمتع بها تشكلان تحديًا رئيسيًا للغرب، وسيضطر الغرب إلى تشكيل حلف جديد لمواجهة عالم إسلامي معاد ومعتد لضرب صحوة الأصوليين، ذلك أن الإسلام والغرب متناقضان ومتباينان، إذ ينظر المسلمون للعالم على أنه معسكران لا يمكن التوفيق بينهما: دار الإسلام ودار الحرب. ومن هنا ينبغي أن نستمد لمواجهة حاسمة مع الشرق الإسلامي " [١].

وبعد المواجهة ينتقل إلى التعاون المشبوه:

" النزاع العربي الإسرائيلي يسمم علاقاتنا مع العالم الإسلامي، ويقلل من قدرتنا على التعاون مع دول يحكمها زعماء موالون للغرب. إن التزامنا ببقاء إسرائيل هو التزام عميق، إن ما يربطنا أكثر من حلف أو قطعة ورق، إنه التزام أدبي وأخلاقي وحيوي، إن حرص إسرائيل على ضم مناطق عربية سيجعل منها دولة غير يهودية، وكذلك غير ديمقراطية لاحتوائها على شعب لا يعرف الديمقراطية وهم العرب..! وفي حالة وقع حروب مع إسرائيل فسنتعامل كأنها هجوم على أمريكا ".. أي أنه لن يكون هناك تعاون مع المسلمين إلا بالسلام أو الاستسلام لإسرائيل [٢].

ويؤكد كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي (اليهودي والألماني المولد) في عهد نيكسون على ضرورة الاستسلام لإسرائيل إذ يقول:

" إن الاعتراف بإسرائيل من جانب منظمة التحرير والدول العربية لن يكون إلا بداية عملية تعديل وتنظيم للأوضاع الإقليمية تبعًا لإرادة إسرائيل. إن الخطر الحقيقي من المنظمة سيتمركز في عدم قبول

(١) صراع الحضارات في القرن الحادي والعشرين ص ١١.
(٢) المصدر السابق ص ٥٨.

إرادة إسرائيل " [١].

- وسالازار دكتاتور البرتغال لم يفته أن يقول:

" إن الخطـر الحقيقـي علـى حضـارتنا مـن المسـلمين الـذي يمكـن أن يغيروا النظام العالمي ".

فسأله صحفي: كيف يحدث هذا والمسلمين مشغولون بخلافاتهم؟

فرد: " أخشى أن يخرج منهم من يوجه خلافاتهم إلينا " [٢].

- ومـا برحـت الحضـارة الغربيـة تـرى فـي الإسـلام عـدوًا أزليـا، وهـو مفهـوم طالمـا رددتـه مارجريـت تاتشـر رئـيس وزراء إنجلتـرا (١٩٨٠ - ١٩٩٠) عقب سقوط الاتحاد السوفياتي [٣].

وعـادت بعـد الهجـوم علـى البنتـاجون ومركـز التجـارة العـالمي لتقـول لصحيفة الجارديان عدد ٢٠٠٢/٢/١٢م.

" إنني أحذر الغرب من الإرهاب الإسـلامي، فالناشـطون الإسـلاميون هم البلاشفة الجدد " [٤].

- وينقل الأستاذ فهمي هويدي في عدد الأهرام ١٧/ ٧/ ١٩٩٠ عن مجلة نيوزويك عدد يوليو ١٩٩٠ أن جياني ديمكليس رئيس مجلس وزراء أوروبا قال:

" أدعو الغرب لفرض نموذجـه الحضـاري علـى العـالم وبالـذات العـالم الإسلامي، وإذا لم يقبل العالم الإسلامي النموذج الغربي فسنوجه إليه حلف الأطلنطي بعد أن كان موجهًا إلى الشيوعية. يجب أن يصبح ذلك النموذج أكثر جاذبية وقبولاً، فإذا فشلنا فسيصبح العالم مكانًا في منتهى الخطورة ".

ويؤكد ويلي كلاس أمين عام حلف الأطلنطي أن:

(١) قراءة في فكر علماء الإستراتيجية - للدكتور/ جمال عبد الهادي مسعود ص ٥٠.
(٢) الإسلام وخرافة السيف ص ٢٤٥، للدكتور/ عبد الودود شلبي.
(٣) ولتفصيل أكثر يراجع في ذلك " حقيقة الغرب بين الحملة الفرنسية والحملة الأمريكية " للدكتور/ مصطفى عبد الغني.
(٤) إلى متى نظل بلا ألسنة - فهمي هويدي، الأهرام ٢٠٠٢/٢/١٩.

" العدو الجديد في خطط حلف الأطلنطي هو الأصولية الإسلامية " [1].

- وكان ليونيل جوسيان رئيس الوزراء الفرنسي الذي استقال عام ٢٠٠٢ قد صرح قبل الجلاء الإسرائيلي عن لبنان في مايو ٢٠٠٠ أن ما يفعله حزب الله من قبيل الإرهاب وعاقبه طلاب جامعة بيرزيت الفلسطينية بإلقاء الحجارة عليه.

- وبعد الهجوم على البنتاجون ومركز التجارة العالمي، صرح الرئيس بوش الابن أن الحرب ضد أفغانستان حربًا صليبية.

- وصرح سيلفيو بيرلسكوني رئيس الوزراء الإيطالي في التسعينات، ولفترات أخرى بعد ذلك قال:

" على الغربيين أن يدركوا تفوق حضارتنا التي تكفل الرخاء لشعوبها وحرية الحقوق الإنسانية والدينية والسياسية غير الموجودة في الدول الإسلامية. إن الحضارة الغربية تكفل التسامح وتعترف بالاختلاف وهي بوتقة للثقافات والحرية، والديمقراطية، مما يجعلنا نفخر بهذه الحضارة التي لا توجد مفاخرها وسموها في الحضارات الأخرى مثل الحضارة الإسلامية ".

وأثناء الرد على مناهضي العولمة قال:

" إن الغرب مرشح للاستمرار في تغريب الشعوب والتأثير عليهم وقد قام بذلك مع العالم الشيوعي، وجانب من العالم الإسلامي بينما توقف الجانب الآخر عند القرن الخامس عشر... " [2].

وكان بيرلسكوني في فترة الحكم الأولى قد ائتلف مع حزب رابطة الشمال العنصري بزعامة " أومبرتوبوسي " **الذي صرح قائلاً أنه يرى:**

" العالم على قسمين: المدنية في جانب والهمجية في جانب آخر، فالغرب هو المتحضر والإسلام في الجانب الآخر ".

وفي نفس التوقيت تقريبًا ١٩٩٣/٣/١٨ صرح وزير الداخلية الإيطالي

(١) الغارة الجديدة على العالم الإسلامي، للدكتور/ محمد عمارة ص ٣٢.
(٢) الأهرام ٢٠٠٢/١٠/٢.

إثـر حـادث مقتـل معـارض إيرانـي فـي رومـا: " إن مـا يحـدث جـزء مـن مؤامرة تديرها جماعات إسلامية لتخريب العالم الغربي " [١].

- يقول المؤرخ " ليدوفيك دي كونتش " :

" كـان الغـرب يعمـل جاهدًا علـى تأصـيل بـذور الكراهيـة والحقد ضـد المسلمين في نفوس المسيحيين، يتلقونها خلفًا عن سلف، ويرضـعها الطفل من شعور أمه، كما يرضع اللبن من ثديها، فتسرى في كيانـه مسرى الدم في عروقه ".

ويقول المستشرق الفرنسي " كيمون " في كتابه " بأيدولوجيا الإسلام " :

" إن الديانـة المحمديـة جـذام تفشـى بـين النـاس، وأخـذ يفتـك بهـم فتكًـا ذريعًا، بـل هـي مرضـع مريـع، وشلل عـام، وجنـون ذهولي يبعث الإنسـان علـى الخمـول والكسـل، ولا يوقظـه منهمـا إلا ليسـفك الـدماء، ويـدمن علـى معـاقرة الخمـور، ويجمـع فـي القبـائح، ومـا قبـر محمـد إلا عمـود كهربـائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين، ويلجئهم إلـى الإتيـان بمظـاهر الصـرع العامـة، والـذهول العضـلي، وتكرار لفظـة " الله " إلـى مـا لا نهايـة والتعـود علـى عـادات تتقلـب إلـى طبـائع أصـلية: كراهيـة لحـم الخنزيـر والنبيـذ والموسيقى، وترتيب ما يستنبط من أفكار القسوة والفجور في اللذات...

وينتهي كيمون إلى أنه يرى المسلمين وحوشًا ضارية، وأن الواجب إبـادة خمسهم، والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة، وتدمير الكعبـة، ووضـع قـبر " محمد " في متحف اللوفر... " [٢].

- ومن أدلة الجهل المغذي للحقد وذلك النشـيد العجيـب الـذي يـردده الجنود الطليان أثناء حربهم لليبيا العربية المسلمة. وقـد جـاء في هـذا النشـيد الفاشيستي على لسان جندي لأمه:

(١) الإسلام فوبيا، لمصطفى الدباغ ص ٥٥.
(٢) أعداء الحل الإسلامي، للدكتور/ يوسف القرضاوي ص ٣٨.

" يا أماه أتمى صلاتك، ولا تبكي، بل اضحكي.

ألا تعلمين أن إيطاليا تدعوني، وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحًا مسرورًا.

لأبذل دمي، كي أسحق الأمة الملعونة.

لأحارب الديانة الإسلامية التي تجيز البنات الأبكار للسلطان!!

من أقاتل بكل قواي، لأصحو القرآن..!!

وإن سألك أحد عن عدم حدادك عليّ فأجيبيه إنه مات في محاربة الإسلام!! ".

ومن هنا قد يدرك القارئ لماذا كان يعتبر بيرليسكوني أن تفوق الحضارة الغربية على الحضارة الإسلامية هو أمر طبيعي!!

أما المستشرق الدكتور/ ماكولي الأستاذ بجامعة لندن فقد تحدث عن الصحوة الإسلامية محذرًا قائلاً:

" إن أوروبا عانت من الإسلام مرتين:

المرة الأولى: خلال القرن السابع عندما وصل المسلمون في زحفهم إلى الأندلس.

المرة الثانية: في القرن السابع عشر عندما غزا المسلمون أوروبا للمرة الثانية واكتسحت قواتهم البلقان والمجر، وتوقفت على أبواب فيينا (يقصد العثمانيين).

وأن الزحف الإسلامي الثالث قد بدأ وأنا أحذر الدول الغربية والاتحاد السوفيتي منها لأن هذه الصحوة لو استمرت فإنها ستكون خطرًا كبيرًا لا على الاتحاد السوفيتي فحسب، بل على أوروبا، وسوف يمتد تأثيرها إلى أمريكاوإلى جميع بقاع العالم.

- وكان طبيعيًا بعد كل هذا أن تظهر نظرية صراع الحضارات للمفكر اليهودي هنتجتون الذي قال:

" الانقسامات الكبرى في السنوات المقبلة سوف تكون ثقافية، والنزاعات الأساسية في السياسة العالمية سوف تكون بين أمم لها حضارات مختلفة، أو مجموعات من الأمم لها حضارات مختلفة كذلك، والخصائص والفروق الثقافية أقل قابلية للتبديل وأقل قابلية للحلول الوسط من نظيرتها السياسية والاقتصادية، ولذلك ستحل الفروق الثقافية المكان الأول في أسباب الصراع.

وإن حضارات كثيرة ستشرك في هذا الصراع منها الحضارة الغربية، والهندية، واليابانية، والإسلامية، والكونفوشية وربما غيرها ".

ولأهمية الدين بين عناصر الحضارات يكمل هنتنجتون:

إن أركان الحضارة المشتركة التي تربط بين الجماعات هي اللغة والدين والتاريخ والعادات، وكل هذه مجتمعة في الدول العربية، ثم إن الدين وهو من أقوى الأركان يربط الدول العربية بالدول الإسلامية برباط قوى، وبخاصة أن الإسلام خلق تشريعات مشتركة وقيمًا وأخلاقًا لكل المسلمين، وهذه العلاقات بين المسلمين بعضهم والبعض أقوى من الأيديولوجيات والسياسة، واللغة العربية لغة القرآن واسعة الانتشار في الدول الإسلامية، وكل الدول الإسلامية ترتبط بالتاريخ الإسلامي وتتدارسه، ومن هنا قويت الروابط بين الدول الإسلامية بعضها ببعض.

والحرب الباردة التي توقفت تجعل الدين أساسًا لإقامة علاقات أكثر قوة من العلاقات السياسية والاقتصادية ونمو الجماعات الأصولية الإسلامية، يضعف ويقلل الصلات بين المسلمين والغرب، والتجمع الإسلامي يصطدم بمجموعات كثيرة في الصرب وإسرائيل وبورما والفلبين. ونزعة إحياء الدين تقدم أساس الالتزام الذي يتعالى حقائق الحدود القومية، ويوحد بين الحضارات مهما بعدت الدول الإسلامية بعضها عن بعض، والثقافة والدين عاملان شكلاً أساس التعاون الاقتصادي الذي جمع بين عشرة أقطار إسلامية غير عربية هي: إيران، وباكستان، وتركيا، وأفغانستان، وأذربيجان، وكازاخستان، وقرجيزستان، وتركمانستان،

وطاجيكستان، وأوزباكستان، والاختلافات الحضارية والدينية هي التي تخلق اختلافات حول المسائل السياسية. وقد حاول الغرب دفع القيم الديمقراطية والليبرالية للشرق الإسلامي، باعتبار الديمقراطية والليبرالية قيمًا عالمية ولكنه لم يفلح لأن الدين الإسلامي أقوى من الجميع.

إن المجابهة أمام الغرب ستكون من المسلمين الذين هالهم عدوان الغرب على المسلمين خلال القرون الأخيرة، ثم لأن الغرب يستعمل مقياسًا مزدوجًا للأحداث، فهو يصارع العراق ويدكها دكا، ويتسامح مع إسرائيل مع كثرة عدوانها على العرب. وننصح الغرب ألا يغتر باتساع أفكاره الحضارية في العالم الإسلامي فذلك فقط على السطح وليس لهذا أي عمق حقيقي.

والاختلاف في الثقافة يعتبر مصدرًا للنزاع، وليس الأمر متعلقًا بالثقافة فقط، بل إن هناك اختلافًا في المفاهيم كالفردية، والحرية، والدستورية، وحقوق الإنسان، والديمقراطية، وفصل الكنيسة عن الدولة.

إن دولاً غير غربية اختارت التنافس مع الغرب من خلال تطوراتها السياسية والاقتصادية مثل الكونفوشية، والإسلامية، فقد أخذت الصين تورد السلاح إلى ليبيا والجزائر والعراق.

وستصبح البؤرة المركزية للنزاع في المستقبل بين الغرب من جانب والكونفوشية - الإسلامية من جانب آخر، فالمجتمعات الغربية لها ملامح ثقافية تميزها عن العرب والصين.

ويورد هامنتنجتون تاريخ الصراع بين الغرب والمسلمين كالآتي:

١- اكتسح المسلمون أرضًا كانت تحت سلطة الروم وهي سوريا، ومصر والشمال الأفريقي والأندلس، ورفع الإسلام شأنها.

٢- من القرن الحادي عشر للقرن الثالث عشر حاول الصليبيون استعادة الأرض العربية وكان نجاحهم محدودًا ومؤقتًا.

٣- من القرن الرابع عشر للقرن السابع عشر ظهر زحف العثمانيين

الذين فتحوا البلقان وفتحوا القسطنطينية وحاصروا فيينا.

٤- في القرن التاسع عشر فرضت بريطانيا وفرنسا وإيطاليا سيطرة الغرب على كثير من البلدان الإسلامية.

٥- تراجع الغرب بعد الحرب العالمية الثانية ولكن النفوس محتشدة بالآلام [١].

ويقترح هامنتجتون ما يلي لتقوية المعسكر الغربي:

١- دعم التعاون الأمريكي الأوروبي مع إدماج أوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية في هذا الصف.

٢- الحفاظ على علاقات التعاون مع روسيا واليابان.

٣- الحد من توسع القوة العسكرية الإسلامية - الكونفوشية واستغلال الخلافات والنزاعات في هذا المعسكر لإضعاف هذه الجبهة.

٤- دعم الحضارات المتعاطفة مع القيم الغربية وإسرائيل.

هذه بوجه الإجمال هي خلاصة البحث الذي نشره هامنتنجتون " صراع الحضارات " واتبعه البروفيسور برنارد لويس بدراسة عن الثقافات وهو لا يخرج عن هذا الخط. وقد وصف الحروب الصليبية بأنها حرب مقدسة، وهذا التعبير مغالطة واضحة، فهذه الحرب كانت عدوانًا سافرًا، ولم ينس برنارد لويس جذوره اليهودية فألف كتاب " احذروا الشرق الإسلامي " أو " خطر الشرق الإسلامي " و " جذور السعار الإسلامي ".

فها هو الغرب يعلن عداوته الصريحة للشرق الإسلامي وحاملاً سكينه، وجاء يقول للشرق أنا قادم لأذبحك ولكن البعض في الشرق ما زالوا يدعون للحوار ولا يصدقون نواياهم العلنية لذبح المسلمين.

وقد يتضح مما تقدم وبلا أدنى ريب أن الماسونية، واليهودية الصهيونية،

(١) صراع الحضارات - د. أحمد شلبي.

والمسيحية الصهيونية ترتبط ببعضها ارتباطًا وثيقًا وتسير جميعها على خط واحد لتحقيق أهداف مشتركة، فالماسونية يهودية الأصل والمنبت والهدف. والحركة الصهيونية التي دعا إليها وجددها بعد أن أرسى الكثير من قواعدها العصرية: " تيودور هرتزل "، وباعتبارها ظاهرة عدوانية في التاريخ الحديث رغم ما يدعي الفكر الصهيوني ومؤيديه من المسيحيين الصهاينة من أنها حركة تحرير للوجود اليهودي، لم يكن ليتاح لها إمكانية النفاذ إلى مقدرات العالم الغربي حيث تم تفعيلها جديًا منذ ١٨٩٧م إلا بالمساندة الكاملة والخدمات والإنجازات التي قامت بها الجمعيات الماسونية، ذلك أنه لم تكن هناك جهودًا يهودية قد بذلت في الإعداد لكسب عواطف كثير من قيادات الفكر الغربي، وعناصر السلطة فضلاً عن استغلال التيار التاريخي لحركة الاستعمار الرأسمالي، وصراعاته على استثمار البلدان المختلفة، وخاصة في المجال الدولي [١].

ومما يجدر التذكير به في التدليل به على أن الجهود الخفية للماسونية اليهودية العالمية كانت تبذل على الدوام، وفي دأب متواصل لتحقيق هدف إمكانية العمل اليهودي المنظم المعلن من أجل التجمع اليهودي وتشكيل عناصر القوة في شكل عمل موحد محدد الهدف، والغاية، أنه قبل مؤتمر بازل في عام ١٨٩٧م **كانت هناك محاولات على طول التاريخ اليهودي - كما أوضحنا من قبل - تتعلق بالعودة إلى فلسطين والارتباط بصهيون كحركة المكابين، وحركة باركوخيا، وحركة مورس الكريتي، وحركة دافيد روبين، وحركة منشة بن إسرائيل وغيرها.**

إن جميع البروتوكولات الأربعة والعشرين تؤكد نصًا أو ضمنًا على أن الماسونية من بنات أفكار اليهود. ومن النصوص التي تؤكد دور المحافل الماسونية في العمل لخدمة الصهيونية العالمية:

(١) انظر أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي للدكتور/ صابر طعيمة.

ما جاء في البروتوكول الثالث حيث يقول:

" إن المحافل الماسونية تقوم في العالم أجمع - دون أن تشعر بدور القناع الذي يحجب أهدافنا الحقيقية، على أن الطريقة التي ستستخدم بها هذه القوة في خطتنا، بل في مقر قيادتنا لازالت مجهولة من العالم بصفة عامة ".

وفي البروتوكول الرابع:

"... إن المحفل الماسوني المنتشر في كل أنحاء العالم ليعمل في غفلة كقناع لأغراضنا ".

وفصل البروتوكول الحادي عشر الأهداف التي ترمي إليها الصهيونية من إفساح المجال لغير اليهود للانضمام إلى المحافل الماسونية العالمية. **فقد جاء فيه:**

" ما هو السبب الذي دفعنا إلى أن نبتدع في سياستنا، ونثبت أقدامنا عند غير اليهود، لقد رسخناها في أذهانهم دون أن ندعهم يفقهون ما تبطن من معنى، فما هو السر الذي دفعنا إلى أن نسلك هذا المسلك، اللهم إلا أننا جنس مشتت وليس في وسعنا بلوغ غرضنا بوسائل مباشرة فحسب، بل وبوسائل غير مباشرة. هذا هو السبب الحقيقي لتنظيمنا الماسونية التي لم يتعمق هؤلاء الخنازير من غير اليهود فهم معناها، أو الشك في أهدافنا، إننا نسوقهم إلى محافلنا التي لا عداد لها ولا حصر، تلك المحافل التي تبدو ماسونية فحسب، كي نذر الرماد في عيون رفاقهم ".

وأهم ما جاء في البروتوكولات بخصوص علاقة الماسونية بالصهيونية:

ما جاء في البروتوكول الخامس عشر:

" وإلى أن يأتي الوقت الذي نصل فيه إلى السلطة سنحاول أن ننشئ ونضاعف خلايا الماسونية الأحرار في جميع أنحاء العالم. وسنجذب إليها كل من يصير أو من يكون معروفًا بأنه ذو روح عامة، هذه الخلايا ستكون الأماكن الرئيسية التي سنحصل فيها على ما يزيد من أخبار، كما أنها

ستكون أفضل مراكز الدعاية وسوف نركز هذه الخلايا تحت قيادة واحدة معروفة لنا وحدنا.

هذه القيادة من علمائنا وسيكون لها أيضًا ممثلوها الخصوصيون كي تحجب المكان الذي تقيم فيه قيادتنا حقيقة ".

ويضيف هذا البروتوكول قائلاً:

" ومن الطبيعي أننا كنا الشعب الوحيد الذي يعرف أن يوجهها، ونعرف الهدف الأخير لكل عمل على حين أن الأمميين (غير اليهود) جاهلون بمعظم الأشياء الخاصة بالماسونية، ولا يستطيع رؤية النتائج العاجلة لما هم فاعلون ".

وتتضح العلاقة بين الماسونية والصهيونية - كما يوضحها الأستاذ علي السعدني في كتابه " أضواء على الصهيونية " **من خلال اتفاقها في أمور كثيرة منها:**

١- إن كلا منهما يرسم في الظلام ويخطط في السر ويعمل من وراء الستار، ويراقب في الخفاء كما هي عادة المجرمين الذين يفكرون في الجريمة وينفذونها في السر..

٢- إن الماسونية والصهيونية وليدة شرعية لليهودية تستمد منها أصولها من التلمود، وتنفذ تعليماته، وتعمل لها في الخفاء.

٣- تتفق الماسونية مع الصهيونية في عداء كل منهما للأديان غير اليهودية، ويجب التذكير هنا إلى أن منظر الماسونية الحديثة الأول - جيمس أندرسون - كان يهوديًا. وقد انضم اليهود إلى المحافل الماسونية في منتصف القرن الثامن عشر، لا في إنجلترا وحدها، وإنما في هولندا وفرنسا وألمانيا، **وفي سنة ١٧٩٣م أسس يهود لندن محفلاً ماسونيًا أطلقوا عليه اسم: محفل إسرائيل**...

وقد حاول اليهود منذ ذلك الوقت إعادة النظر في تعاليم

الماسونية ورموزها. وغيروا فيها لتناسب الجو البروتستانتي في بريطانيا والولايات المتحدة.. ويعترف محرر مادة الماسونية في دائرة المعارف اليهودية مفاخرًا، بأن اليهود هو أول من أدخلوا الماسونية إلى الولايات المتحدة الأمريكية [١].

وهذا المحفل الأمريكي الماسوني الذي يدير الماسونية الكونية وكل أعضائه أعاظم اليهود، وخاصة زعماءهم، عقد مؤتمرًا قرر فيه خمسة من اليهود أصحاب الملايين خراب روسيا القيصرية وإنفاق مليار دولار، وتضحية مليون يهودي لإثارة الثورة في روسيا، **وهؤلاء الخمسة هم:**

إسحاق هوثيمر – وشيستر – دليفي – ورون – وشيغث.

وكان المال موصودًا للدعاية وإثارة الصحافة العالمية على أثر المذابح الدائرة ضد اليهود حوالي القرن التاسع عشر [٢].

وبهذا يتضح بأن الماسونية تتحرك بتعاليم الصهيونية وتوجيهاتها، وتخضع لها زعماء العالم ومفكريه.

* * *

(١)" الماسونية تحت المجهر"، للدكتور/ إبراهيم عباس.
(٢) أسرار الماسونية - لجواد رفعت ص ٧٥.